الإعلام المقدسي
من النشأة الأولى إلى عام 1948

المرحوم جهاد صالح

كاتب فلسطيني

لقد أعدّ جهاد صالح دراستين عن الإذاعة والصحافة المقدسية (1936 – 1948)، هذه الدراسة المطولة للأستاذ جهاد صالح تتناول حلقتين بتاريخ الإعلام الفلسطيني المقدسي منذ تأسيسه ومواكبة خطوات تطوره، منذ نشأته وحتى العام 1948.

وقد تناولت الحلقة الأولى: تطور الصحافة الورقية المقدسية. فيما عالجت الحلقة الثانية دراسة تأسيس وتطور الإذاعة الفلسطينية بنداء «هنا القدس»، مما يسمح بنشر الحلقتين بعنوان مشترك في عدد مجلة المقدسية الخاص بصور عن المشهد الحضاري المقدسي بعناصره الثقافية والعلمية والإعلامية.

الحلقة الأولى: الصحافة المقروءة

الصحافة الفلسطينية العربية في القدس منذ نشأتها حتى العام 1948م

كانت فلسطين جزءًا من الإمبراطورية العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وتطبيق اتفاقية سايكس– بيكو، وكانت تعرف بـ«سوريا الجنوبية» وتقسّم داخليًا إلى

ثلاث متصرفيات، وهي متصرفية القدس المستقلة، ومتصرفيتا عكا ونابلس، وهاتان الأخيرتان ألحقتا بولاية الشام حتى العام 1883م، حيث جرى تقسيم إداري فالتحقتا بولاية بيروت.(1)

إن التقسيمات الإدارية طوال العهد العثماني، ومن قبله في عهد المماليك، وإن لم تشتمل على لفظة «فلسطين» رسميًا، إلاّ أنها كانت فعليًا، تتقلص أحيانًا وتتسع أحيانًا أخرى حول الأرض التي عرفت في التاريخ باسم فلسطين.(2)

وعبر تاريخ فلسطين الطويل والمليء بالحروب والعهود المختلفة، توجد حقيقتان مهمتان يمتاز بهما هذا التاريخ:

الحقيقة الأولى: هي الأهمية الكبرى التي تمتاز فيها فلسطين دوليًّا بالنظر إلى مكانتها الدينية لدى جميع الأديان السماوية، وهذه المكانة الدينية هي التي جعلتها أرضًا للصراع بين الغرب والشرق ظاهرًا، وبين الإسلام والمسيحية حقيقة، فكانت الحروب الصليبية قمة لهذا الصراع الذي تفجّر عن ثماني حملات صليبية، وحروب امتدت من 1096 – 1290م.

والحقيقة الثانية: هي عروبة فلسطين، فهذه البلاد وإن امتازت وألصقت بطابع ديني خاص، إلا أنها كانت من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فضلًا عن الناحيتين الجغرافية والإدارية، جزءًا من الأرض المعروفة اليوم بالأقطار العربية: الأردن وسوريا ولبنان (بلاد الشام).

وقد قضى الاستعمار البريطاني من الناحية الشكلية على الحقيقة الثانية، ففصل فلسطين فصلًا قاطعًا عن المناطق العربية المجاورة، وأصبح لفلسطين، ولأول مرّة في تاريخها، حدود معلومة ومساحة محدودة، ومقدارها (27,009) كيلومترات مربعة، وهذه تعادل (10,429) ميلًا مربعًا.(3) وأصبحت حدود فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، ونتيجة

لاتفاق سـايكس – بيكو، وللمخططات الأجنبية لانتزاع تركة الدولة العثمانية وهي: من الشرق سـوريا والأردن، من الغرب البحر الأبيض المتوسط، من الشمال لبنان وسوريا، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة.[4]

والحديث عن نشأة الصحافة في فلسطين، والقدس تحديدًا – موضوع دراستنا– يحتاج إلى الإلمام قليلًا بموضوعين مهمّين: أولهما نشأة الطباعة في مصر والشام عامةً، وفي فلسطين خاصةً، وثانيهما نشأة الصحافة في البلاد العربية لاسيما مصر والشام.[5]

أمـا أهمية الموضوع الأول، فيبرز من كون الصحافـة –بمفهومها الحديث– ثمرة من ثمـرات المطبعة، تلك الآلـة التي ظهرت في أوروبا قرب منتصـف القرن الخامس عشر الميلادي على يد مخترعها الألماني (جوتنبرغ)، ثم ما لبثت أن شـاعت واستخدمها الناس في الأقطـار الأوروبية، حتى غدت من أهم عوامل نهضتها الحديثة. ثم انتقلت إلى الشرق العربي، فأسهمت في بناء صرح النهضة العربية الحديثة إسهامًا فعالًا من ناحيتين رئيستين: الأولى إحياء التراث العربي الإسـلامي ونشره بين الناس، والأخرى تيسـير اتصال أبناء الشرق اتصالًا حضاريًّا شاملًا بالنهضة الأوروبية الحديثة.

أما أهمية الموضوع الثاني، فتأتي من ناحية أن فلسـطين كانت –حتى قيام الثورة العربية ضد الأتراك في العام 1916م– إحدى ولايات سوريا الكبرى التابعة للسلطة العثمانية. ولم يكن يفصلها عن شقيقاتها حدود سياسية كالتي اصطنعها الاستعمار في مطلع هذا القرن؛ لتمزيق الكيان العربي والسيطرة عليه، لذلك كان اتصال أبناء الولايات السورية ميسورًا إلى حـد كبير. وكان ما يحدث في ولاية من تلك الولايات يتردد صداه في الأخرى على أنه أمر يهمّ أبناء الشام جميعًا.[6]

وما ينطبق على صلات فلسـطين ببقية أنحاء الشـام، ينطبق إلى حد كبير على صلاتها بمصر، فإلى جانب أخوة العقيد والقربى بين أبناء القطرين، تقع فلسطين في أقرب جهات الشـام إلى مصر، لذلك كان الاتصال بينهما ميسـورًا إلى حد كبير، كما أن أبناء الولايات

السورية جميعها كانوا يشعرون بوطأة الحكم العثماني، ويعانون معاناة شديدة وخاصة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، مما أدى إلى لجوء كثير منهم إلى مصر والإقامة فيها إقامة دائمة أو مؤقتة.(7)

وكان لحملة إبراهيم باشا على الشام في العام 1831م آثار واضحة في توثيق الصلات بين أبناء القطرين، وتمكّن أبناء الشام من الاطلاع على كثير من مظاهر الحضارة الحديثة وخاصة ما يتعلق منها بالتنظيمات الإدارية، وأساليب جباية الضرائب وتسويق البضائع وغيرها، لكن كلمة تركيا اجتمعت هي وكلمة الدول العربية ضد محمد علي وابنه إبراهيم، وأرغمتها على إنهاء الحملة في العام 1840م، خوفًا من مطامح محمد علي، التي كان من أبرزها تكوين إمبراطورية عربية قومية، وفي ذلك تهديد خطير لصالح تركيا والدول الغربية معًا، على الرغم من تناقض تلك المصالح.(8)

وحول نشأة الطباعة في مصر وبلاد الشام، فقد ذكر بعض الباحثين أن أول مطبعة استخدمت الحروف العربية، أنشئت في روما بإيطاليا في العام 1514م، وقامت بطبع بعض الكتب الدينية المسيحية، ثم انتشرت الطباعة بالعربية في معظم الحواضر الأوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، لإمداد الأديرة والكنائس في الشرق العربي بالكتب الدينية والعلمية.(9)

وكانت مدينة حلب في سوريا، قد أنشئ في أحد الأديرة المسيحية فيها أول مطبعة عربية في العام 1702م،(10) وتلتها مطبعة في الآستانة على وجه التقريب في العام 1716م،(11) ثم أخذت المطابع العربية تنتشر في مدن لبنان وسوريا، وخاصة في الأديرة والكنائس، وعند البعثات التبشيرية الغربية.(12)

وكانت أول مطبعة ظهرت في مصر تلك التي جلبها نابليون بونابرت معه أثناء حملته على مصر في العام 1798م، وكانت تستخدم الحروف العربية واللاتينية واليونانية، وفي عهد محمد علي أنشئت (مطبعة بولاق) في القاهرة في العام 1812م، وقامت بدور كبير في

النهضة الثقافية في مصر خلال القرن التاسـع عشر، ثم أخذت المطابع تنتشر في القاهرة، وفي غيرها من المدن المصرية حتى صارت تعد بالعشرات أواخر القرن التاسع عشر.[13]

وفي فلسـطين، عرفت متصرفية القدس المسـتقلة المطبعة في العام 1846م، عندما قام (الرهبان الفرنسيسـكان) بإنشـاء مطبعة في القدس لنشر تعاليمهم الدينية، والتبشير بها داخل فلسـطين والولايات العربية المجاورة. وفي العـام 1848م، قام فريق من المبشرين الإنكليز بإنشاء مطبعة في القدس سـمّوها: (مطبعة لندن لانتشار الإنجيل بين اليهود). وفي تلك السنة أيضًا أنشـأ أبناء الطائفة الأرمنية في القدس مطبعة خاصة بهم. وفي العام 1849م، أنشـئت مطبعة (جمعية القبر المقدس اليونانية). ومن أهم المطابع التي أنشئت في تلك الحقبة مطبعة (المرسـلين الكنائسية الإنجيلية) في العام 1879م، ثم قام بعض الأفراد من أبناء الطوائف المسيحية بإنشـاء مطابع خاصة بهم ولاسيّما في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومسـتهل القرن العشرين. وكان من أهمها: (مطبعة جرجي حبيب حنانيا) التي أنشئت في القدس في العام 1892م. وطبع فيها عدد كبير من الكتب بلغات مختلفة.

أما في المدن الفلسطينية الأخرى، فلم تظهر المطابع إلا بعد إعلان الدستور العثماني في العام 1908م، ومن تلك المطابع: (المطبعة الوطنية) التي أنشـئت في حيفا في العام 1908م لصاحبها باسـيلا جدع، ثم مطبعة صحيفة (الكرمـل) لصاحبها نجيب نصار، ومطبعة صحيفة (النفير) لإيليا زكا في العام 1910م.[14]

وقد نشـأت الطباعة في فلسطين وتطوّرت على أيدي أبناء الطوائف المسيحية الشرقية والمبشريـن الأجانب في الأديرة والكنائس، لذلـك كان اهتمامها محصورًا إلى حد كبير في طباعة الكتب الدينية المسـيحية ونشرها بين أبناء الطوائـف المختلفة وغيرهم، لتحقيق أهداف تبشـيرية.[15] ونتيجة لذلك فقد تمكّنوا من تحصيل قـدر من الثقافة المعاصرة بين الناس وأسهموا إسـهامًا فعالًا في هذا المجال، وذلك بطباعة الكتب المختلفة والصحف والمجلات التي كانت تجتاز المرحلة الأولى من حياتها في هذا القطر.[16]

أما دور المسلمين في هذا المجال، فكان محدودًا جدًا، لأن الوسائل المتاحة لهم حينئذ كانت قليلة. فمن الناحية الثقافية مثلًا كان أقصى ما يطمح إليه أكثرهم تعلّم مبادئ القراءة والحساب والعلوم وقراءة القرآن الكريم في الكتاتيب، أو في المدارس الرسمية الابتدائية على الرغم من قلّتها، وإن لغة التعليم الرسمية فيها كانت التركية لا العربية.[17]

لهذا، ليس غريبًا أن يقول الكاتب والباحث «لويس شيخو اليسوعي»[18] في وصفه لحالة الأدب، في مجال الصحافة: في فلسطين حينئذ: «لا ينكر أن قوام الصحافة في العالم العربي حاضر بمساعي النصارى خصوصًا، وذلك في صورتيها؛ أي على صورة مجلات ذات أبحاث واسعة في كل المعارف العصرية، وعلى صورة جرائد سيّارة تنتشر يوميًا أو أسبوعيًا أو مرارًا في الأسبوع.[19]

وليس معنى ذلك، أن حركة المسلمين لم تكن مزدهرة في ذلك. «ففي العام 1856م، أصدرت الدولة العثمانية تنظيمات إدارية، في القطاع الزراعي، كان من نتيجتها أن اضطر الفلاحون والملاّكون الصغار، إلى تسجيل أراضيهم باسم الملاكين الكبار هربًا من الضرائب والجندية، والفلاحون الذين عجزوا عن تسديد الضرائب ولم يجدوا حيلة، استولت الدولة على أراضيهم وعرضتها في المزاد العلني، وهنا حصلت العائلات اللبنانية والفلسطينية الثرية على أخصب الأراضي في فلسطين».[20]

وفي هذا المجال، تقول الباحثة «بيان نويهض الحوت» إنه على الرغم من الثراء الفاحش الذي تمتعت به العائلات المالكة للأراضي الزراعية الشاسعة، فإن هذا الثراء لم يقدها في الواقع إلى دهاليز الزعامة السياسية، كما كان يحصل في المجتمعات الإقطاعية القديمة، أو في المجتمعات المشابهة، والسبب أن فلسطين بحكم موقعها الديني، ووجود المسجد الأقصى في رحاب القدس وهو ثالث الحرمين، جعلها من أولى المميزات التي تتباهى بها العائلات الإسلامية، هي ميزة اتصال النسب بالسلالة النبوية، أو بالقبائل العربية الأصيلة في الجزيرة العربية وفي المغرب العربي. ومن مميزاتها كذلك، الاهتمام الدائم بالأمور الدينية

والعلميــة خاصة، وأن القــدرات المالية كانت متوفرة، فكان من هــذه العائلات العلماء والأئمة والمفتون والشيوخ». وتتابع:

«وهذه «الطبقة المختارة من العائلات لم تشـكّل طوال تاريخها طبقة واحدة من حيث المســتوى الاقتصــادي، فهي عائلات متفاوتــة اقتصاديًا، إلا أنــه كان لرجالها في العهد العثــماني مميزات عديدة، منها كانوا يعيّنون في المناصب العليا، ومنها أنهم كانوا يعفون من الضرائــب، ومنها أنه لم يكن لتجوز محاكمة واحد منهــم إلا في منزل الأشراف، وبحكم مكانتهم الدينيــة كانت تقتطع من أراضي الأوقاف، وهكذا بحكــم مرور الزمن ونظام الإرث أصبح للبعض منهم أراضٍ زراعية كبيرة، إلا أن أهم ما حصلوا عليه، كان قدرتهم على إرســال أولادهم لتلقي العلم في الخارج، ومن هنــا كان أولادهم أكثر أبناء جيلهم ثقافة.

ونتيجة هذا الوضع الاجتماعي المتميّز في فلســطين بالمقارنة مع المجتمعات المجاورة، كان الهدف الأعلى في المجتمع هو الانتســاب إلى تلــك العائلات والتقرب إليها، وكانت الممسكة بمقاليد المجتمع. وهي صاحبة الحل والربط، فكان الناس يلجؤون إليها لتدافع عن مصالحهم لدى السلطة العثمانية، كما كانوا يلجؤون إليها لحل الخلافات الداخلية فيما بينهم.[21]

أمــا بالنســبة إلى المهاجرين اليهود إلى فلســطين، فيذكر الباحــث «فيليب حتّي» أن أول قدوم لليهود بكثرة كان ســنة 1870م، لقد حلّوا في يافا وأسســوا مستعمرة «مأوى إسرائيل».[22]

وبين عامي 1882 – 1903م، بلغ عدد مهاجري الموجة الأولى عشرين ألفًا، ومعظمهم من اليهــود الروس. وبين عامي 1904 – 1913م، بلغ عدد مهاجري الموجة الثانية، ومن اليهود الروس أيضًا، من ثلاثين إلى أربعين ألفًا. وفي سنة 1914م قدّرت السلطات العثمانية سكان فلسطين بـ(689,275) نسمة، ومنهم 8 % من اليهود.[23]

وكان تقسيم السكان في البلاد الأخير بين الطوائف على النحو الآتي: المسلمون 512,000 نسمة، واليهود 66,000 نسمة، والمسيحيون 62,000 نسمة، والسامريون 175 نسمة، والأغراب 20,000 نسمة.[24]

أما الدكتور إميل توما، فيذكر أن اليهود في فلسطين كانوا عشية الحرب الأولى 80,000 نسمة، وهبط في أثنائها إلى 65 ألفًا، وعادوا إلى ديارهم، أو هاجروا إلى دول أخرى، وغالبيتهم هاجروا إلى أميركا.[25]

نشأة الصحافة في فلسطين

تعدّ الصحافة في العصر الحديث، من أهم مآثر المطبعة، لذلك ظهرت في أوروبا قبل غيرها، لسبقها بلدان العالم الأخرى إلى اختراع المطبعة.

ويعدّ النصف الأول من القرن السادس عشر بداية نشوء الصحافة الأوروبية الحديثة، ثم استمرت في تطورها إلى أن بلغت مرحلة الازدهار في القرن الثامن عشر، ففيه كثر عدد الصحف الأدبية كثرة هائلة، بحيث لم يكن هناك كاتب واحد من رجال ذلك العصر في فرنسا –على سبيل المثال لم يشارك في تحرير إحدى الصحف.[26]

وفي الشرق العربي، عرفت الصحافة (بمفهومها الحديث) أثناء الحملة الفرنسية على مصر، حيث صدرت صحيفة أطلق عليها اسم (التنبيه) سنة 1800م، لخدمة أهداف الحملة، وتلاها بعد أكثر من ربع قرن صحيفة (الوقائع المصرية) سنة 1828م، وكان يشرف على تحريرها رفاعة الطهطاوي، ثم أصدر المستعمرون الفرنسيون صحيفة في الجزائر سنة 1847م، أطلقوا عليها اسم (المباشر) وفي سنة 1854م أو 1855م أصدر رزق الله حسون الحلبي صحيفة (مرآة الأحوال) في الآستانة، ثم أصدر إسكندر شلهوب صحيفة باسم (السلطنة) في القاهرة سنة 1857م، وأصدر خليل الخوري في بيروت (حديقة الأخبار) سنة 1860م، وأصدر أحمد فارس الشدياق، (الجوائب) في

الآستانة سنة 1860م، وصدرت أول مجلة عربية باسم (يعسوب الطب) في مصر سنة 1865م لصاحبيها محمد علي الحكيم رئيس الأطباء المصريين آنذاك وإبراهيم الدسوقي. وكان دور المهاجرين السوريين إلى مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر دورًا مهمًا في إنعاش الحركة الصحفية وازدهارها.[27]

وقد تأثرت الصحافة العربية في مرحلة نشوئها وتطوّرها بالصحافة الغربية إلى حد كبير. وهذا أمر طبيعي إذا نظر إليه من ناحية أن الصحافة -بمفهومها الحديث- فن غربي، نقلناه عن الغرب وطوّرناه بما يتلاءم وظروفنا وأحوالنا جميعها.[28] غير أن طريق الصحافة العربية في العهد العثماني لم تكن مفروشة بالورود في كل الأوقات، وإنما واجهت صعوبات جمّة كانت تؤدي بالصحيفة في كثير من الأحيان إلى التوقف مؤقتًا أو نهائيًا. ومن تلك الصعوبات أن السلطان العثماني عبد المجيد أصدر سنة 1857م لائحة نصّت على أن تخضع طلبات افتتاح المؤسسات الطباعية لفحص مجلس إدارة الثقافة العامة ومجلس وزارة البوليس، وعلى مصادرة كل مطبوعة تتضمن أخبارًا تمسّ الدولة، أو تجلب إليها الضرر.[29]

وفي سنة 1865م صدر قانون جديد تأسس بموجبه مكتب خاص لمراقبة الصحف، وكان من أبرز موادّه الالتزام بطلب التصريح لإصدار صحيفة من حكومة السلطنة، ومنع دخول أيّ صحف أجنبية إلى الإمبراطورية -وخاصة إلى الولايات السورية- تعالج موضوعات سياسية وإدارية لا تحظى برضا السلطة، إلى جانب جواز وقف أية صحيفة أو تعطيلها إداريًّا، إذا خالفت ذلك القانون. وفي سنة 1867م صدر قانون آخر جاء مؤكّدًا لما ورد في القوانين السابقة، ومضيفًا إليها بنودًا جديدة للحدّ من حرية الصحافة. وفي سنة 1876م، تولى السلطان عبد الحميد الثاني منصب الخلافة، وحاول في بداية عهده السير مع دعاة الإصلاح، فأعلن الدستور، ومنح الصحافة قدرًا من الحرية ضمن دائرة القانون، لكن ذلك لم يدم طويلًا، فقد تخلّص سنة 1878م، من مدحت باشا وأعوانه،

وعطل الحياة النيابية، وفرض رقابة صارمة على الصحف، واستغل قيام الحرب الروسية العثمانية لإعلان الأحكام العرفية وتعطيل قانون المطبوعات. وفي العام 1888م، صدر قانون آخر بشأن الصحافة حجر على الصحف أن تنشر شيئًا دون موافقة (الرقيب الدائم) وكانت الصحافة العربية –ولاسيّما السورية– قد وضعت تحت رقابة مكتب خاص منذ العام 1878م.[30]

وحين قام الاتحاديون بمحاولتهم الانقلابية الفاشلة ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1894م اشتدت وطأة الرقابة على الصحف، مما أدى إلى هجرة كثير من الصحفيين السوريين إلى أقطار أخرى أكثر أمنًا ولاسيّما مصر.[31]

وحين تمكن الاتحاديون من إجبار السلطان على إعلان الدستور سنة 1908م، استبشر الناس خيرًا، وكثر صدور الصحف في الولايات العربية، واتجهت أقلام الكتّاب نحو ذمّ العهد السابق، والثناء على عهد الحياة الدستورية ودعاتها.[32]

ولكن الاتحاديين سرعان ما كشفوا عن نواياهم، بعدما تحقق لهم النصر فأعلنوا الأحكام العرفية، وعطّلوا الدستور، وفرضوا رقابة صارمة على الصحف؛ وأسسوا مجلسًا حربيًا لتحقيق ذلك. فصارت القيود على حرية الصحافة أثقل مما كانت عليه في العهد السابق، ولا يُنكر –مع ذلك– فضل إعلان الدستور على تهيئة مناخ مناسب لإصدار كثير من الصحف بل يمكن أن يؤرخ لنشأة الصحافة في عدد من الأقطار العربية، ومنها فلسطين سنة 1908م.[33]

وعلى أثر نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، وإعلان الأحكام العرفية في أنحاء الإمبراطورية العثمانية، توقفت معظم الصحف والمجلات العربية عن الصدور، ولاسيّما في الشام، ولم يبق قائمًا منها إلا ما كان مواليًا للسلطنة، أو ضروريًا لنشر أخبار الحرب.

وبعد انتهاء الحرب بهزيمة تركيا وحليفاتها، وانتصار الحلفاء، استأنفت مجموعة من

الصحف والمجلات العربيـة صدورها، واحتجب أكثرها احتجابًـا نهائيًا، كما صدرت صحف ومجلات جديدة.[34]

ولـدى اسـتعراضنا للتصاريح التي أصدرهـا المكتب الخـاص العثماني للصحف والمجلات التي صدرت في فلسـطين، وعددها تسعة وثلاثين تصريحًا، صدرت في ثلاث مدن كبرى هي: القدس (ثلاثة وعشرون تصريحًا) يافا (سـبعة تصاريح)، حيفا (تسـعة تصاريح). وفيما يلي جدول بأسماء النشرات الدورية التي صدرت في القدس خلال العهد العثماني:

م	اسم النشرة	تاريخ التأسيس	صاحب الامتياز	ملاحظات
1.	القدس الشريف	جريدة رسمية 1876	الحكومة العثمانية	باللغة العربية والتركية
2.	الغزال	جريدة رسمية 1876	الشيخ علي الريماوي	مرة واحد في الشهر
3.	القدس الشريف	جريدة رسمية 1903 – 1908	متصرفية القدس	
4.	باكورة جبل صهيون	1906	مدرسة صهيون الإنكليزية	شهرية
5.	الأصمعي	ا أيلول 1908	حنا عبد الله العيسى	تطبع في يافا وتحرر في القدس
6.	الأحلام	10 أيلول 1908	غير معروف	تطبع في يافا وتحرر في القدس
7.	القدس	18 أيلول 1908	جرجي حبيب حنانيا	مرتين في الأسبوع

.8	الديك الصياح	1 تشرين الثاني 1908	جرجي حبيب حنانيا	لم نعرف مواعيد صدورها
.9	بشير فلسطين	5 كانون الأول 1908	أطناسيوس ثيوفيلو باندازي	شهرية
.10	الإنصاف	23 كانون الأول 1908	بندلي إلياس مشحور	مرتين في الأسبوع
.11	النجاح	24 كانون الأول 1908	الشيخ علي الريماوي	أسبوعية
.12	البلبل	سنة 1908	لم يعرف صاحبها	لم نعرف مواعيد صدورها
.13	صهيون الجديدة	سنة 1908	الأرشمندت ياكوس كبنكاس	شهرية
.14	الطائر	سنة 1908	لم يعرف صاحبها	لم نعرف مواعيد صدورها
.15	منبه الأموات	سنة 1908	لم يعرف صاحبها	لم نعرف مواعيد صدورها
.16	النفائس العصرية	سنة 1911 – تأسست في حيفا عام 1909	خليل بيدس	شهرية
.17	الباكورة الصهيونية	سنة 1909	مدرسة صهيون الإنكليزية	لم نعرف مواعيد صدورها
.18	الاعتدال	أول أيار 1910	بكري السمهوري	لم نعرف مواعيد صدورها
.19	الدستور	6 كانون الأول 1910	خليل السكاكيني، ثم جميل الخالدي	مرّة في الأسبوع
.20	رائد النجاح	صدرت عامي 1910 – 1911	كلية الفرير	لم نعرف مواعيد صدورها

21.	المنادي	8 شباط 1912	سعيد جار الله	أسبوعية
22.	المنهل	5 آب 1913	محمد موسى المغربي	شهرية
23.	القدس الشريف	18 كانون الأول 1913	متصرفية القدس – علي الريماوي	لم نعرف مواعيد صدورها[35]

والمتتبع في جدول الصحف والمجلات الصادرة في العهد العثماني، يلاحظ الأمور التالية:

1. أن غالبية الصحف والمجلات قد صدرت ما بعد العام 1908م، عام إعلان الدستور العثماني، وانتعاش الطموحات الوطنية لسكان سوريا مع وصول حزب «تركيا الفتاة» إلى الحكم وقد أعطى بعض الحرية للمواطنين، على أن آمال الوطنيين سرعان ما خابت بعد أن كشف أمر تركيا عن وجهها المتعصّب ضد العرب.
2. وبعد النهوض النسبي لحركة إصدار الصحف في الولايات العثمانية صدر في صيف 1909 «نظام المطبوعات العثماني» الذي حدد «كيفية النشر» و«العقوبات» ومواد «في القدح والإهانة». وفي اليوم ذاته صدر «قانون المطابع العثماني» وتمّ إحكام هذا القانون أكثر فأكثر في ربيع العام 1912م، وفي العام 1914م، صدر مرسوم «جرائم الطباعة».
3. ما إن انتهى حلم الدولة العثمانية في فلسطين، حتى عادت بعض الصحف إلى الصدور مرة أخرى، بعد أن رخصت من جديد «لتنظم للصحف الجديدة في عهد الانتداب البريطاني، وهذه الصحف هي: «النفائس» وأصبح اسمها «النفائس العصرية» والأخبار، والنفير، والكرمل، ثم فلسطين أطول صحف فلسطين عمرًا».[36]

4. ولئن كانت بعض هذه الصحف تحتجب ولا تعاود الظهور لأسباب مختلفة، فإن هناك غيرها واصلت الصدور.[37]

صحافة القدس في عهد الانتداب البريطاني (1919 - 1948م)

في العام 1918م استكملت القوات البريطانية والفرنسية –تعززها قوات من المتطوعين العرب– احتلال سوريا بأكملها، واقتطعت بريطانيا فلسطين من الجسم السوري، وأخذت الحركة الوطنية في فلسطين شكلًا جديدًا يقوم ضمن الحدود الجغرافية المستحدثة، وإن ظلت هذه الحركة ترنو إلى الوحدة مع شقيقتها السورية.[38]

وبتاريخ 21 شباط/ فبراير 1920م، صدر قرار دولي في مؤتمر لندن، بتولي بريطانيا الانتداب على فلسطين، ثم لحقه قرار آخر في مؤتمر سان ريمو في 25 نيسان/ أبريل 1920م، ونشرت بريطانيا صك الانتداب في 31 آب/ أغسطس 1921م، بعد إدخال تعديلات تلائم أهدافها، وركّزت فيه على أن «وطنًا قوميًّا للشعب اليهودي يجب أن يؤسس». وجاء ذلك في مقدمة الصك، وأهملت العبارة التي نصّت على صون «الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين».[39]

وبذا تبلورت الحركة الوطنية الفلسطينية التي جعلت من حدود فلسطين حدًا لنشاطها، وأفرزت عددًا من الصحف، نختار منها، ما صدر في القدس وحدها، وهي:

الرقم	اسم النشرة	تاريخ التأسيس	صاحب الامتياز	ملاحظات
1.	سوريا الجنوبية	8 أيلول 1919	عارف العارف، محمد البديري	أسبوعية، نصف أسبوعية
2.	مرآة الشرق	17 أيلول 1919	بولس شحادة	مرتين في الأسبوع

3.	بيت المقدس	26 كانون الأول 1919	بندلي إلياس مشحور	مرتين في الأسبوع
4.	القدس الشريف	13 نيسان 1920	حسن صدقي الدجاني	أسبوعية
5.	بريد اليوم	11 أيار 1920	1. سفير	لم نعرف مواعيد صدورها
6.	الأقصى	6 أيلول 1920	صالح عبد اللطيف الحسيني	أسبوعية
7.	مجلة دار المعلمين	أول تشرين الثاني 1920	نقولا حنا	عشر مرّات في السنة
8.	يوم الرب	28 تشرين الثاني 1920	القسيس إسبر ضومط	شهرية
9.	الوقائع الفلسطينية / رسمية	1 كانون الثاني1921	حكومة فلسطين	شهرية بثلاث لغات
10.	رقيب صهيون	15 كانون الثاني 1921	بولس سمعاني	شهرية
11.	لسان العرب	24 حزيران 1921	إبراهيم سليم النجار	يومية
12.	الصباح	سنة 1921	محمد كامل البديري	أسبوعية
13.	مجلة روضة المعارف	كانون الثاني 1922	مدرسة روضة المعارف	شهرية
14.	أورشليم جديدة	1 تشرين الثاني 1922	و. وكاتلنج	لم نعرف مواعيد صدورها

.15	القدس الجديدة	أول تشرين الثاني 1922	و. وكاتلنج	لم نعرف مواعيد صدورها
.16	الأخبار الكنسية	أول كانون الثاني 1924	إلياس مرمورة	شهرية
.17	الزنبقة	18 أيار 1924	كشافة القديس جاورجيوس	شهرية
.18	الروايات الأهلية	حزيران 1924	بندلي إلياس مشحور	شهرية
.19	اتحاد العمال	نيسان 1925	إسحق بن زفي	لم نعرف مواعيد صدورها
.20	الكرمة المصوّرة	10 كانون الثاني 1926	واصف يوسف	لم نعرف مواعيد صدورها
.21	الإعلان	23 أيلول 1926	ميشال سليم نجار	لم نعرف مواعيد صدورها
.22	الجامعة العربية	20 كانون الثاني 1927	منيف الحسيني	أسبوعية
.23	الصفير	22 أيار 1927	جمعية الكردينال فراري	شهرية
.24	الحكمة	أول تشرين الأول 1927	فوراس ميخائيل أنطون	شهرية
.25	الكلية العربية	سنة 1927	أساتذة الكلية	فصلية
.26	إلى الأمام	آذار 1928	الحزب الشيوعي الفلسطيني	غير منتظمة
.27	الميعاد	18 أيلول 1928	ميشال سليم النجار	أسبوعية

.28	سانت جورج	سنة 1929	مدرسة سانت جورج	فصلية
.29	الحياة	1/ 4/ 1930	عادل جبر وآخرون	يومية
.30	الأخلاق	كانون الأول 1931	داود الكردي	شهرية
.31	الوقائع الفلسطينية/ رسمية	حكومة فلسطين المنتدبة	أول كانون الثاني 1932	أسبوعية بثلاث لغات
.32	العرب	27/ 8/ 1932	عجاج نويهض	أسبوعية
.33	الأخلاق	27/ 4/ 1933	داود الكردي	أسبوعية (مرة ثانية)
.34	الجامعة العربية	2/ 5/ 1933	منيف الحسيني	يومية
.35	كشاف الصحراء	سنة 1931	عاطف نور الله	شهرية
.36	أخبار دار الأيتام السورية	15/ 8/ 1933	أرنست شنللر	شهرية بالعربية والألمانية
.37	دوار هايوم	7/ 6/ 1933	شركة دوار هايوم	يومية بثلاث لغات
.38	اللواء	4/ 2/ 1933	جمال الحسيني	يومية
.39	مجلة البطريركية	24/ 4/ 1933	قسطندي ثيودوري	شهرية

.40	مجلة الشرق الأوسط	1933	د. توفيق كنعان	لم نعرف مواعيد صدورها
.41	مجلة كلية تراسانطة	1929	الأب باسكال كنسل	فصلية
.42	النشرة الكنسية	1933	القس إلياس مرمورة	شهرية
.43	الوحدة العربية	4/ 12/ 1933	إميل الغوري	يومية بلغتين
.44	الشباب	29/ 5/ 1934	إميل الغوري	نصف أسبوعية
.45	مجلة الاقتصاديات العربية	25/ 10/ 1934	شركة المطبوعات العربية	نصف شهرية، وأسبوعية
.46	إسرائيل	28/ 4/ 1935	ألفونسو باسينفيكي	أسبوعية بعدد كبير من اللغات
.47	لفان راديو	25/ 9/ 1935	ماتياس كرونبرغ	نصف أسبوعية بثلاث لغات
.48	المياه الحية المقدسة	8/ 4/ 1935	القس خليل أسعد جبرائيل	شهرية بالعربية والإنكليزية
.49	بولوتينو أوافيشال	1936	كارلو كاسيلا	
.50	مجلة دار الأيتام الإسلامية	2/ 3/ 1936	إسحق درويش	شهرية
.51	مكتب الأخبار الألماني D.N.B	23/ 3/ 1936	د. فرانز ريخترت	يومية بثلاث لغات

.52	السلام والخير	سنة 1937	حراس الأرض المقدسة	شهرية
.53	صدى طب الأسنان في فلسطين	13/ 2/ 1937	شارلوت يلسكي	مرة كل شهرين
.54	مجلة الأشرطة السينمائية والسينما	26/ 4/ 1937	إبراهيم تلحمي	أسبوعية
.55	مصباح الحق	كانون الثاني 1937	ليفوري، ف، وتيمان	شهرية
.56	وكالة الأخبار العربية	4/ 6/ 1937	شركة الأخبار العربية	يومية
.57	بيت المقدس	8/ 11/ 1938	بندلي إلياس مشحور	يومية
.58	الحرب	2/ 7/ 1940	يوسف فرنسيس	يومية بالعربي والإنكليزي
.59	المنتدى	1/ 4/ 1940	مكتب المطبوعات	شهرية
.60	هنا القدس	19/ 1/ 1940	مكتب المطبوعات	شهرية بخمس لغات
.61	الأرض المقدسة	سنة 1941	باسيل أتلاتبنيان	شهرية بخمس لغات
.62	الأنباء العربية	23/ 5/ 1941	رشاد أبو غربية	يومية
.63	الرياضة والسينما	26/ 4/ 1945	جبرائيل شكري ديب	أسبوعية عربي إنكليزي

.64	الشرق الأوسط	سنة 1945	خيري حماد	أسبوعية
.65	الغد	24/ 4/ 1945	عيسى شاكر	نصف شهرية، أسبوعية
.66	المجلة الطبية العربية الفلسطينية	28/ 6/ 1945	الجمعية الطبية العربية الفلسطينية	مرّة كل شهرين
.67	الهدف	6/ 11/ 1945	جبرائيل ذيب	أسبوعية عربي إنكليزي
.68	الوحدة	5/ 6/ 1945	إسحق عبد السلام الحسيني	يومية
.69	الذخيرة	6/ 10/ 1946	حسين حسني	أسبوعية
.70	الرأي العام	3/ 6/ 1946	أحمد خليل العقاد	أسبوعية
.71	الشباب	4/ 12/ 1946	علي سعيد خلف	أسبوعية
.72	القرية العربية	30/ 12/ 1946	عارف علي النجار	أسبوعية بالعربي والإنكليزي
.73	مجلة اتحاد النوادي الأرثوذكسية	28/ 10/ 1946	حنا عبد النور عطا الله	شهرية
.74	المنبر	28/ 10/ 1946	حنا عبد النور عطا الله	شهرية
.75	نشرة دائرة العمل	سنة 1946	حكومة عموم فلسطين	شهرية رسمية

.76	النضال	2/ 3/ 1946	إميل الغوري	أسبوعية
.77	النيل	28/ 1/ 1946	حسين حسني	أسبوعية
.78	صوت الكلية	16/ 5/ 1947	موسى ناصر	شهرية بالعربي والإنكليزي
.79	القافلة	1947	مكتب المطبوعات ودار الإذاعة	لا نعرف دوريتها
.80	مجلة جمعية الشرق الأوسط	9/ 10/ 1947	جاكوب بروير	فصلية بالإنكليزي
.81	بالستاين بوست – المحلق العربي	5/ 2/ 1948	شركة بالستاين بوست	يومية
.82	البعث	سنة 1948	عبد الله الريماوي	يومية[40]

ملاحظات حول الجدول:

1. ارتفع عدد الدوريات من صحف ومجلات في عهد الانتداب البريطاني إلى ما يقارب (206) مائتين وست دوريات، منها ما يقارب (82) اثنتين وثمانين دورية في القدس نفسها.

2. بعض الصحف احتجبت بعد عدد أو عددين لأسباب مختلفة.

3. بعض مواعيد صدور الصحف لم نتمكن من تحديد موعد صدورها.

ملامح صحافة القدس في عهد الانتداب البريطاني

بعد صدور القرار الدولي في مؤتمر لندن (21 شباط/ فبراير 1920م) وقرار مؤتمر سان ريمو (25 نيسان/ أبريل 1920م)، أصبحت بريطانيا رسميًّا المسؤول الرئيس عن فلسطين، وبعد أن أجرت إدخال تعديلات ركزت فيها على أن «وطنًا قوميًّا للشعب اليهودي يجب أن يؤسس»/ وأهملت هذه العبارة التي نصّت على صون «الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين».

وأسرعت بريطانيا وعينت هيربرت صموئيل (وهو يهودي) أول مندوب سامي في الإدارة المدنية في (1 أيلول/ سبتمبر 1920م)، وبذلك تكون بريطانيا والصهيونية قد سبقت عصبة الأمم المتحدة في تنفيذ الانتداب الذي وافقت عليه بتاريخ 24 تموز/ يوليو 1922م، ولم تتأخر الإدارة البريطانية بعد أن استلمت الحكم المدني بإقامة بنية تحتية تساعدها على الحكم والوصول لجميع المناطق بسهولة، ولتظل على اتصال مع لندن وتبادل أخبار المستعمرات الجديدة وإدارتها.

وقد ترافق ذلك، مع بروز دور الحركة الوطنية الفلسطينية التي تشكلت على قاعدة التصدي لوعد بلفور، والهجرة اليهودية ومصادرة الأراضي، عبّرت عنها صحافة فلسطينية، وحملت مراحل تطوّرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بحيث لا يمكن الفصل بين الحركة الوطنية الفلسطينية والصحافة المعبّرة عنها وحملت ملامحها، ويمكن تقسيمها إلى المراحل التالية.

المرحلة الأولى من الحركة الوطنية الفلسطينية (1918 – 1929م) وقد اتسمت بالملامح التالية:

1. سيادة كبار الملاك الزراعيين والعقاريين في قيادة الحركة. الأمر الذي أدىّ إلى سيادة فكر هذه الطبقة في الحركة الوطنية وبرامجها طوال هذه المرحلة، وهو الفكر الذي

خلط إلى حدٍّ ما بين اليهودية كدين واليهودية كحركة سياسية، مع اعتبار الاحتلال البريطاني حكمًا في العداء القائم بين المطامح العربية والأطماع الصهيونية.

2. وحدث الأمر ذاته في مجال أساليب الكفاح، إذ اعتمدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة أساليب في غاية التواضع، فلم تكن تتعدى عقد المؤتمرات، وتسيير الوفود، إلى المندوب السامي البريطاني في القدس تارة، وإلى الحكومة البريطانية في لندن، تارة أخرى، مع رفع المذكرات إلى ذلك المندوب وتلك الحكومة وهي مذكرات تكتفي بالشكوى وتنشد الحل عند المحتل البريطاني.[41]

3. وللتاريخ نشير إلى أن الاحتلال البريطاني ألغى في البداية، الرقابة على الصحف في فلسطين، وأقرت أنها ستعطي تصريحًا لمن يريد إصدار صحيفة من السكان.[42] وقد اختفى لقب «صاحب الامتياز» المسؤول عن الصحيفة، وظهر مكانه «صاحب الجريدة ومحررها».[43]

4. قلّة المواد الأدبية من أغلب الصحف الفلسطينية لافتقارها إلى ضمانات الاستمرار من أموال وطباعة، وإلى عدد من الكتاب والأدباء المتمكنين... وقد امتد تأثير الصحافة المصرية في هذه المرحلة التي غمرت الأسواق الأدبية في البلاد بجرائدها.[44]

المرحلة الثانية من الحركة الوطنية (1929 - 1936م) وقد اتسمت بالملامح التالية:

1. وضعت هبّة البراق الوطنية الفلسطينية، عندما وقعت صدامات في القدس بين أفراد من الشعب الفلسطيني وبعض المستوطنين الصهاينة، وانحياز حكومة الانتداب إلى الصهاينة بشكل علني بكل الوسائل، بدأت المواجهة مع الاحتلال البريطاني وسلطته الانتدابية المتحالفة مع القوى الصهيونية التي راحت تفرض بعضًا من سيطرتها على الأرض والمجتمع الفلسطينيين، عن طريق الهجرة المستمرة، وبدا

الشعور الفلسطيني العام وصحافته أنهم يواجهون سياستين معاديتين هما: الحركة الصهيونية والاحتلال البريطاني معًا.

2. «أحسّت الصهيونية بخطورة الدور الذي تلعبه الصحافة العربية الفلسطينية وأثره السلبي على المشروع الصهيوني، فبادرت صحف صهيونية إلى إدخال اللغة العربية ضمن اللغات التي تصدر بها، وهي: البناء الحر (1933) ذي بالستين وكيلي (1933) دوار هايوم (1933) عين دافار (1934) ها دوآر ها كلكالي في هاكسبي (1934) إسرائيل (1935)، هابنيان بايزراح هاكوف (1935)، لفانت راديو (1935)، نيف هامآفير (1939)، تلاميم (1939)، هيكه (1939)».(45)

3. وقد تفننت سلطات الانتداب في أساليب مواجهة نشاط الصحف الوطنية العربية الفلسطينية، فمن الرقابة الصارمة التي اشتدت بنهوض الحركة الوطنية الفلسطينية، إلى مصادرة نسخ الجريدة بعد طباعتها، إلى تقديم المحررين إلى المحاكمة، إلى إغلاق الصحيفة لمدّة معينة، إلى سحب الترخيص الممنوح لصاحب الامتياز من سلطات الانتداب. حتى عمدت في العام 1933م، إلى إصدار «قانون المطبوعات» من أجل مضاعفة القيود المفروضة على الصحافة، حيث لعبت الصحافة بنشر المقالات التحريضية التي أشعلت الوجدان الوطني، فمن انتفاضة 1933 إلى حركة القسّام في 1935، وأخيرًا ذروة المرحلة المتمثلة في ثورة 1936م، الوطنية المسلحة، والإضراب العام الذي امتد نحو أربع سنوات متصلة، لعبت الصحافة العربية الفلسطينية دورًا مجديًا في توعية الجماهير الفلسطينية وتحريضها على أعداء القضية العربية.(46)

4. لذا، وفي هذه المرحلة أدّت الأحداث السياسية وانتعاش الحركة الوطنية ووحدتها، وظهور الأحزاب السياسية في فلسطين دورًا في وجه بريطانيا والصهيونية، وقد وثقت الأحداث والبطولات الشخصية والشعبية في سنوات هذه المرحلة، كما

شـكلت مادة غنية للصحافة مما عــزز دورها وأهميتها... فقد نشـأ خلال ثلاث سنوات متتالية ستة أحزاب سياسية، عملت على استقطاب الجماهير وتنظيمها على أسس واضحة، خاصة وقد ظهرت بوادر عدم رضا الشباب عن تكتلات الزعامة التقليدية، ويلاحظ أن تبلور صحف الكتل الوطنية قد تحولت إلى صحافة حزبية، توزّعت على الأحزاب السـتة بالإضافة إلى صحف الحزب الشيوعي الفلسطيني، قادت المرحلة حتى 1948م، وهذه الأحزاب هي:

1. حزب الاستقلال العربي (1932) وجريدة الحزب: العرب، فلسطين.
2. حزب الدفاع الوطني (1934) وجريدة الحزب: فلسـطين، الجامعة الإسـلامية، الصراط المستقيم.
3. الحـزب العربي الفلسـطيني (1935) وجريدة الحزب: الجامعـة العربية، اللواء، الوحدة العربية، صوت الشعب الأوقات العربية، الوحدة، الدفاع.
4. حزب الكتلة الوطنية (1935) وجريدة الحزب: يعتمد على صحف جمال الحسيني.
5. حـزب الإصلاح العربي الفلسـطيني (1935) وجريدة الحـزب: يعتمد على عدّة صحف.
6. مؤتمر الشـباب العـربي (1935) وجريدة الحزب: الكفـاح، واعتمد فيما بعد على صحف جمال الحسيني.[47]

المرحلة الثالثة من الحركة الوطنية والثورة الكبرى والإضراب العام 1936م

تأثرت فلسطين في هذه المرحلة بالمستجدات العالمية، وساهم في تحريك المشاعر الثائرة ما تراكم من أحداث نتيجة المدّ الاستعماري في العالم، خاصة بعد وصول النازيين للحكم في ألمانيا واحتلال إيطاليا الفاشـية للحبشـة في العام 1935م، والحرب الأهلية في إسبانيا الجمهورية في العام 1936م.

هكذا، اجتاحت المنطقة العربية بين (1935 – 1937م)، موجة ثورية معادية للاستعمار، ومطالبة بالاستقلال الوطني من المغرب إلى سوريا، تميّزت بعنف المستعمر ووحشيته ضد حركات التحرر الوطني، وتمكنت سوريا من أخذ استقلالها، ووقعت معاهدة مع فرنسا على غرار المعاهدة العراقية البريطانية. كما تمكّنت مصر بضغط من جماهيرها الرافضة للاستعمار، وخاصة مظاهرات الطلاب والشباب في القاهرة للفوز بالاستقلال وإجبار بريطانيا على إعادة دستور 1923م، وتوقيع معاهدة آب/ أغسطس 1936م.[48]

ومن الطبيعي أن تتأثر فلسطين التي تخوض نضالًا شرسًا منذ بداية الانتداب ومطامع الصهيونية والهجرة اليهودية المستمرة، بهذه التطورات، ومن الطبيعي أيضًا أن تستمر الصحافة الفلسطينية بالتطور والنمو في دورها النضالي الذي وحّد الحركة الوطنية في كثير من الأحيان، كما فرّقها من بعض النواحي، وأصبحت لها منزلة خاصة لدى الجماهير، والقادة والصحافيين، كما كانت أداة تخيف السلطات البريطانية.[49]

وحين استشهد الشيخ عز الدين القسام في تشرين الثاني/ نوفمبر 1936م، هبّت الصحف والجماهير في رثائه، وانفجر التصاعد في المواجهة بين الحركة الوطنية الفلسطينية من جهة وبين سلطات الانتداب والحركة الصهيونية من جهة أخرى، على شكل إضراب سياسي عام شمل جميع مدن البلاد وقراها العربية وطبقاتها الاجتماعية وفئاتها وقطاعاتها، ومنها الشرطة والسجناء، وبينما أضرب الجميع زهاء ستة أشهر، اكتفت الصحف العربية بالإضراب لمدّة ثلاثة أيام متصلة كي تعود لممارسة تأثيرها القوي على الشعب الفلسطيني، ولكي تقوم بدورها المؤثر في الثورة.[50]

وقد تميّزت هذه المرحلة بالمميزات التالية:

1. حرص الصحافيون على إبقاء صوتهم مسموعًا، واتبعوا أسلوبًا غير مباشر، وهو إيجاد صحف بديلة عن الصحف التي توقف صدورها سلطات الانتداب، وتصدر وفق تصاريح وامتيازات رسمية، وأهم هذه الصحف:

● الأخبار: صدرت في يافا بين (1936 – 1939) وذلك خلال غياب جريدة فلسطين اليومية.

● الفجر: صدرت في يافا بين (1937 – 1939) لتحل محل جريدة الدفاع اليومية في حال إيقافها عن الصدور.

● الحياة: صدرت في يافا بين (1937 – 1939) لتنوب عن جريدة الدفاع في حال عدم صدورها.

● الجهاد: صدرت في يافا في العام 1939م لتأخذ مكان جريدة الدفاع، في حال غيابها.

● اللهب: صدرت في القدس بين (1938 – 1939) لتنوب عن جريدة اللواء، وعن صحف «جمال الحسيني» في حال توقفها عن الصدور.

ويمكن اعتبار هذه الصحف بمثابة «صحافة سرية» تصدر بشكل متقطع للإفلات من الرقابة والعقاب.[51]

2. أثرت هذه التطورات على توزيع وانتشار الصحافة، إذ بلغ توزيع الصحف اليومية الأربع في الثلاثينيات كالآتي: اللواء (3000 – 6000)، فلسطين (4000 – 6000)، الدفاع (4000 – 6000)، الجامعة الإسلامية (2000)، من الصفحات.[52] وظلت الجرائد تحث القراء لنشر الإعلانات لتؤكد سعة انتشارها وإقبال الشعب عليها.[53]

3. وخلال هذه المرحلة، غدت مواقف قادة الحركة الوطنية الفلسطينية أكثر حسماً في مواجهة حكومة الانتداب، كما ازدادت لهجة الصحف العربية الفلسطينية حدّة إزاء الحكومة ذاتها، فوصفت الحكومة بأنها: «تسجن وتهدم وتفرض الغرامات الفادحة تنفيذاً لسياستها الاستعمارية».[54] وفي المقابل نددت قيادة الوكالة اليهودية

بمواقف الصحف العربية الفلسطينية من ثورة 1936م الوطنية الفلسطينية، واتهمت هذه القيادة حكومة الانتداب في فلسطين بالتقصير في الضرب على أيدي الصحافيين العرب الفلسطينيين.[55]

4. وأشارت لجنة «بيل» التي أرسلتها الحكومة البريطانية للتحقيق في أسباب ثورة 1936م، وكانت برئاسة اللورد بيل، فقد أشارت في حصرها للعوامل التي ساعدت على تفجير الثورة إلى «اللهجة الشديدة التي يستعملها كثير من الصحف اليهودية والعربية».[56] ودفع دور الصحف العربية الفلسطينية الفعّال في الثورة لجنة «بيل» إلى المطالبة بمضاعفة القيود والعقوبات التي يتضمنها «قانون العقوبات» لسنة 1933م.[57]

المرحلة الرابعة من الحركة الوطنية ما بين انتهاء الثورة ونكبة فلسطين (1940 - 1948)

وقد عُرفت هذه المرحلة بـ«الركود والهزيمة»، حيث شهدت فلسطين في زمن الحرب العالمية الثانية نمو الصناعات المحلية والتغيّرات الاجتماعية والمهنية، حيث تكاثرت معسكرات قوات الاحتلال البريطانية في فلسطين، وقد أجبرت هذه التطورات الحكومة الاعتماد على الصناعات الفلسطينية وتنميتها لإمداد قواتها المرابطة... نظرًا لوجود الغواصات الألمانية في البحر المتوسط، الأمر الذي خلق علاقة اقتصادية بين السوق الاستعمارية وبين الطبقة البرجوازية الغنية العربية، وهذه أثرت على الصحافة من حيث نموها وأجندتها.

فقد عاشت فلسطين وحركتها الوطنية منذ العام 1939 فترة جمود سياسي ملحوظ بعد توقف الثورة، خاصة في غياب الزعماء موضع ثقة الشعب خارج البلاد، وكذلك غياب المناضلين والمجاهدين الذين كانت السجون تعج بهم.

ومن جهة أخرى، اشتد الإرهاب الصهيوني وتوسّعت نشاطاته؛ لاستقطاب يهود

العالم وجلبهم لفلسطين، وخاصة النشاطات الإعلامية والدعائية القوية الفاعلة.[58] وارتفاع عدد المهاجرين بنسب كبيرة هروبًا من الحرب في أوروبا، ومنذ بداية الحرب (1940) رفضت الصهيونية تنظيم الفرقة اليهودية في الجيش البريطاني، كما رفضت أن تتألف وحدات عسكرية من اليهود والعرب في إطار جيوش الحلف، وقام اليهود بتنظيم «الهاجاناه» وأصبح لديهم قوات صهيونية مسلّحة.[59] وكانت الوكالة اليهودية تحرص على تنظيم وتسليح اليهود منذ صدور الكتاب الأبيض الذي حدد فيه الهجرة اليهودية، وباستيطان الأراضي التي كانوا يخططون للاستيلاء عليها... وظلّوا يجلبون المهاجرين اليهود لفلسطين بشتى الطرق.[60]

وعلى الرغم من كل ذلك، ظلّ أهل فلسطين من سياسيين وصحافيين وأدباء وكتاب، بالإضافة للشعب عمومًا، يهتمون بإصدار الصحف وقراءاتها، وقد تميّزت المرحلة التي صدرت 1940 – 1948، بالملامح التالية:

1. سجلت الفترة بين 1940 – 1948 صدور ثلاثة وستين ترخيصًا لصحف ومطبوعات جديدة[61]، منها: ستة وعشرون في القدس (حسب القائمة التي أوردناها سابقًا).

2. أدّى التطوّر الاقتصادي الذي عاشته فلسطين خلال هذه المرحلة، وتأسست تدريجيًا مدن الساحل إلى مستودعات لتجارة الاستيراد والتصدير... وأما ملاّك أراضيها الذين كانوا زعماء سياسيين في الوقت نفسه، فقد احتفظوا بمراتبهم السياسية عندما تحوّلوا في ظل المتغيرات من ملاّك أراضٍ كبار إلى أصحاب أملاك عقارية وإلى مستوردين وتجّار وصناعيين أيضًا. وفي هذا السياق، يغدو من الطبيعي جدًا أن تنتقل صدارة الجسم الصحافي من القدس إلى يافا، فتصبح عاصمة الصحافة الفلسطينية في العهد البريطاني، وأن تحتفظ بهذه المكانة طيلة تلك المرحلة.[62]

3. وخطت صحف هذه المرحلة خطوات واسعة إلى الأمام، إن من الناحية اللغوية والأدبية، أو من الناحية الإعلامية والإخبارية والاجتماعية، وفاض كل باب من

أبواب الصحف العربية الفلسطينية بالحياة، بدءًا من المقالة الافتتاحية، وانتهاء بالأخبار العادية التي كانت تردها من المدن والقرى الفلسطينية.(63)

وعلى الرغم مما يطرأ من تغيّر ملموس على الصحف العربية الفلسطينية، لاسيّما أنها جاءت بعد نشوب الحرب العالمية الثانية وتراجع الثورة الفلسطينية من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن نقص الورق المطروح في السوق، ولجوء حكومة الانتداب إلى تقنينه وتزويدها الصحف بأقل من حاجتها منه، أدّيا إلى توقف بعض الصحف الصغيرة.(64)

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن اليقظة الوطنية النسبية التي أعقبت الصدمة بهزيمة الثورة جدّدت صدور الصحف والمجلات الأسبوعية بعد انتهاء الحرب... فظهرت صحف ومجلات أسبوعية في مجال السينما ونجومها وموضوعات ضاحكة وصور فوتوغرافية جذّابة لفتيات فاتنات، على حساب الشؤون الفلسطينية الداخلية، وإن ظلّت بعض الصحف والمجلات تبدي امتعاضها من القيادة التنفيذية للحركة الوطنية، كما أن هذه الصحف والمجلات لم تهادن الصهيونية؛ بل شدّدت هجماتها عليها.(65) وارتفع معدّل توزيع الصحف اليومية العربية الفلسطينية بسبب احتدام الصراع الوطني عشية انتقال المشروع الصهيوني إلى حيّز التنفيذ.(66)

وعلى سبيل المثال، وصل توزيع جريدة «فلسطين» في العام 1946م قرابة تسعة آلاف نسخة يوميًا، وجريدة «الدفاع» إلى زهاء ثلاثة عشر ألف نسخة، كما تضاعف معدل التوزيع اليومي للصحف منذ صدور قرار تقسيم فلسطين عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة.(67) وبعد هذا القرار، تسارعت الأحداث على النحو المعروف، الذي جاء بالنكبة الفلسطينية، بعد تسليم القوات البريطانية ما تملك من إمكانيات عسكرية قبل انسحابها للقوات الصهيونية، فانهارت الصحافة العربية الفلسطينية، شأنها شأن بقية التكوينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والنقابية للشعب الفلسطيني... وبذا طويت صفحة من حياة الصحافة لتفتح أخرى بعد حين.

الروّاد المقدسيّون في الصحافة الفلسطينية العربية قبل النكبة

تأخر ظهور الصحافة الفلسطينية وتطورها عن بقية صحافة الولايات العربية في الدولة العثمانية التي نشأت وتطوّرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلا أن ذلك لا يعني أن الفلسطينيين من الأدباء أو المثقفين والسياسيين وحتى محدودي التعليم لم يهتموا بمتابعة أخبار العالم أو لم يساهموا في هذا المجال، خاصة وقد أثبتوا وجودهم في الحقول التعليمية والثقافية والسياسية والصحافية.

وفي الواقع، يُعدّ العام 1908م، أي بعد صدور الدستور العثماني نقطة الانطلاق للصحافة الفلسطينية، على الرغم أن بعض المؤرخين يعدّون العام 1876م بداية لظهور هذه الصحافة؛ أي بسبب صدور أول الصحف «باللغة العربية» تحت الحكم العثماني الذي همّش العربية بسبب سياسة التتريك.

ويبدو أن الهدف من إصدار الصحف السياسية كان واضحًا منذ البداية، وهو التصدي للحركة الصهيونية بالإضافة لمعارضتها للحكومة العثمانية، لتكون منبرًا للمطالبة بالاستقلال والتعبير عن حرية الرأي.(68)

وهكذا، نرى أن القدس، التي كانت مركزًا للنشاطات السياسية، لم تتقاعس عن إنشاء عدد من الجمعيات، أسستها مجموعة من المثقفين من أبناء العائلات المعروفة المتعلّمة، كان أولها «النادي العربي 1918م»، وكان على رأسهم الحاج أمين الحسيني ليصبح أبرز زعيم في البلاد حتى أواخر 1948م، منافسًا لراغب النشاشيبي. أما المؤسسون فكانوا: عبد القادر المظفر، محمد العفيفي، الشيخ يوسف ياسين، الشيخ حسن أبو السعود، وإبراهيم سعيد الحسيني، وكان شعار النادي «أرضنا لنا» مما يدل على أن أهدافه كانت سياسية وإن بدا عند إنشائه ناديًا ثقافيًّا، وقد كسب شعبية لكثرة عدد المنتسبين وفُتحت له فروع في يافا ونابلس، وأثبت وجوده كنادٍ سياسي عندما أرسل مذكرة للحاكم العسكري دون خوف في تشرين الثاني/ نوفمبر 1919؛ لرفض إقامة وطن قومي لليهود. ساهمت الصحافة في

تعريف الناس بالنادي وقد عادت في هذه المرحلة التي كان الشعب الفلسطيني بحاجة لكل وسائل الاتصال الجماهيرية، سواء أكانت شفهية أم مكتوبة. ومن أوائل الصحف التي عاودت الظهور: جريدة فلسطين، وصدرت سوريا الجنوبية لصاحبها عارف العارف وحسن البديري وقامت بنشر مبادئ وأهداف النادي العربي، وطالبت بعدم فصل فلسطين عن (سوريا الكبرى)، وقد تلاءم هذا مع ما يؤمن به عدد من الذين كانوا يعملون على إحياء حركة الثقافة والحس القومي.

ومقابل هذا النادي، ولد في القدس أيضًا «المنتدى الأدبي» في السنة نفسها، برئاسة جميل الحسيني، وتبرز العلاقة المتواصلة النفسية والعملية لإنشائه، إذ سُمّي تيمّنًا بالمنتدى الأدبي الذي أنشأه عبد الكريم الخليل في الأستانة ويعد امتدادًا له. وكان من أبرز أعضائه النشطين من الشباب: فخري النشاشيبي، حسن صدقي الدجاني، يوسف الخطيب، فؤاد النشاشيبي وصليبا الجوزي، وكان شعاره «باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت».[69]

كان واضحًا منذ ذلك الوقت المبكّر أن هذه المؤسسة استقطبت جماعة النشاشيبي المنافسة لأعضاء «النادي العربي» والتي خلقت فريقين أو عائلتين متنافستين على الزعامة طوال فترة الانتداب البريطاني وهما: الحسيني والنشاشيبي. وقد عادت على الحركة الوطنية بتأثير سلبي في كثير من الأحيان؛ إذ انقسمت عائلات فلسطين لفريقين، في الوقت الذي كانت الوحدة الوطنية ضرورة ملحة لمواجهة الصهيونية، وهذا انعكس أيضًا على الصحافة التي ظهرت فيها التحزّبات العائلية.

وفي القدس أيضًا، تأسست جمعية «الإخاء والعفاف» 1918 لتكون من أبرز الجمعيات السرية المتشددة ضد بيع الأراضي لليهود، ومن أنشط أعضائها: حسن جار الله رئيس بلدية القدس، محمود الدبّاغ، محمود عزيز الخالدي، والشيخ سعيد الخطيب، ومثل هذه المؤسسات كانت عرضة لملاحقة السلطات، خاصة التي كانت على اتصال مع البدو في شرق الأردن الذين كانوا يزودونهم بالسلاح.

ومن الجمعيات والأندية في القدس «جمعية الناشـئة الأدبية» ورئيسها أنطون جبرية. «ولجنة التمثيل العربي في فلسـطين» التي أسسـها محمد عزيز الخالدي وسليم الخواجا، ويلاحظ انتماء بعض الشخصيات لأكثر من جمعية سياسية وثقافية، وكأنهم يحرصون على التعبير عن وطنيتهم العالية.(70)

ولئن كانت الصحافة في بداية نشـوئها، في فلسطين والقدس بحكم ارتباطها بالحركة السياسـية المضطربة في ظروف حربين عالميتين، والتصدي للحركة الصهيونية والانتداب البريطـاني القائم على تحقيق وعـد بلفور، والهجرة اليهودية وإقامـة الوطن القومي على أرض فلسـطين، وارتبـاط الصحافة بالحركة الوطنية الفلسـطينية المعقـدّة في ظروفها وتطوّرات أحداثها، «قد وقعت في أخطاء كثيرة لا نغتفرها الآن، فإن هذا لا يعني أن روّاد الصحافة، كانوا فاسدين أو مفسدين، فهؤلاء الروّاد قد حاولوا بكل ما وسعهم من جهد أن يضطلعوا بمسؤولياتهم، وإذا كانوا قد أخطؤوا في بعض الأحيان، فإن أخطاءهم تلك هـي التي عمّقت إدراكهم، ومهّدت الطريق أمام ما بلغته الصحافة الآن من تطوّر محمود ومشكور».(71) وقد برز في فلسـطين عدد كبير من الكتاب والشعراء والمؤرخين عدّوا في مقدّمة الصحافيين الفلسطينيين منذ العام 1876، وحتى نهاية الانتداب البريطاني في العام 1948م، وكان مـن بينهم روّاد من المدينة المقدّسـة (بعضهم ولـدوا فيها ومن عائلاتها، وبعضهم اسـتقروا فيها، وسـاهموا في نهضتها الحديثة) وعملوا في الصافحة الفلسطينية العربية، ومن بينهم (حسب تسلسل حروف اسم العائلة):

1. يوسف أبو العراج	2. إميل أبو خليل	3. رشاد أبو غربية
4. توفيق أبو شريف	5. عزيز أبو سابا	6. محمد كمال إسماعيل
7. أحمد عزّت الأعظمي	8. محسن أبو ميزر	9. خليل بيدس
10. محمد حسن البديري	11. عيسى البندك	12. يوسف البندك
13. عبد الخالق بشناق	14. عبد الرحمن بشناق	15. محمد عبد السلام البرغوثي

16. عمر صالح البرغوثي	17. سعيد جار الله	18. جورج حبيب حنانيا
19. جمال الحسيني	20. منيف الحسيني	21. صالح عبد اللطيف الحسيني
22. عمر الحسيني	23. علي محي الدين الحسيني	24. خيري حماد
25. مروان فؤاد حقي	26. رشاد الخطيب	27. أنور الخطيب
28. إسكندر الخوري البيتجالي	29. أديب الخوري	30. محمود الخيمي
31. جميل الخالدي	32. علي سعيد خلف	33. حسن بدر الخالدي
34. حسن صدقي الدجاني	35. محمود طاهر الدجاني	36. علي الدجاني
37. موسى الدجاني	38. خالد الدزدار	39. جبرائيل شكري ديب
40. إسحق رشيد	41. علي الريماوي	42. عبد الله الريماوي
43. خير الدين الزركلي	44. أكرم زعيتر	45. خليل السكاكيني
46. فؤاد صالح سابا	47. بولس سمعاني	48. بولس شحادة
49. سليم شحادة	50. عزيز شحادة	51. أحمد الشقيري
52. جمال عبد الله الشنطي	53. سهيل أحمد الشنطي	54. عيسى الشاكر
55. علي الصالح	56. عبد القادر الصالح	57. حنا داود الصاع
58. راجي صهيون	59. القس إسبر ضومط	60. صبحي الطاهر
61. عارف العارف	62. محمد أديب العامري	63. القس عقل عقل
64. مخلص عمرو	65. شكري العلوي	66. يعقوب العودات
67. إميل الغوري	68. جورج فرح	69. بولس فرح
70. متري فراج	71. خالد الفرخ	72. شكري قطينه
73. سمير قفعيتي	74. داود الكردي	75. عبد السلام كمال
76. بندلي إلياس مشحور	77. محمد موسى المغربي	78. عبد رشيد محتسب
79. القس إلياس مرمورة	80. عبد الرؤوف المصري	81. إبراهيم النجار
82. ميشيل سليم النجار	83. حازم نسيبه	84. ناصر الدين النشاشيبي

85. هشام النشاشيبي	86. إسعاف النشاشيبي	87. عبد الله نعواس
88. عيسى الناعوري	89. عجاج نويهض	90. موسى نقولا
91. جبرا نقولا	92. رفيق النمري	93. عبد الحميد ياسين
94. يوسف ياسين	95. واصف يوسف[72]	

وفي نهاية دراستنا، نشير إلى أن الرائد المقدسي «خليل السكاكيني» أشار إلى «تطوّر الصحافة» في فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، نذكر منها (بتصرف):

«... إن صحافة كل أمة تابعة لها، لا تجد صحافة راقية في أمة منحطّة، ولا تجد صحافة منحطّة في أمة راقية، ومن قابل صحافة اليوم بما كانت عليه إلى عهد قريب، رأى أنها قد دبّت فيها الحياة، وأخذت تترقى يومًا فيومًا تبعًا لنهوض الأمة وتطوّرها، وهذه بعض الوجوه التي تتميّز بها صحافة اليوم عما كانت عليه قبله:

- نزل إلى ميدان الصحافة كبار الناس، أصحاب الجاه العريض والثروة الطائلة من زعماء السياسة، يستعملونها للتبشير بمذاهبهم، وينفقون عليها عن سعة، فصارت أكثر الصحف تعيش على أصحابها، بعد أن كان أصحابها يعيشون عليها؛ بل يبتذلونها في سبيل التعيُّش والتكسُّب، فأثرى القليلون، وأدركت الكثيرين حرفة الأدب.

- جعلت الصحافة تعنى بالعلم والأدب عنايتها بالسياسة. فكانت السياسة سببًا لترويج العلم والأدب. وكان العلم والأدب سببًا لترويج السياسة، فهي أول، وهما المحل الثاني، وهما أول وهي المحل الثاني...

- كان الكاتب الواحد يتولى بنفسه كتابة الجريدة من أولها إلى آخرها، فيضطر إلى السرعة، ويرضى بما يجيء لا بما يجب. وإذا تولاه الفتور أو أخذه الإعياء شغل القسم الأكبر من جريدته بفضول القول، ومستهجن البحث، فصار اليوم لأكثر

الجرائد كتّاب عديدون، قد لا يصيب الواحد منهم في الأسبوع غير مقالة واحدة يتبسّط فيها ما شاء علمه وأدبه...

- وكانت الجريدة الواحدة لا تعنى إلا بالسياسة على غير علم ولا حنكة، فتبرم قراؤها، فأصبحت اليوم معرضًا لشتى الأغراض مما ينفع الناس ويهمهم الاطلاع عليه.

- وكانت أكبر جريدة قبل اليوم ذات أربع صفحات، ويشغل القسم الأكبر منها الإعلانات، فأصبحت اليوم ذات ثماني صفحات كبيرة لا تشغل الإعلانات منها قسمًا كبيرًا.

- وأما القراء، فقد كانوا قبل اليوم يكتفون من قراءة الجريدة بإمرار النظر، ولا يقرؤون شيئًا إلا أدركهم الضجر، فصاروا اليوم يراقبون سياستها على غير مذهبهم، ولعل الناس لا يقرؤون اليوم غير الجرائد.

ولا بد أن يقلّ عدد المتطفلين على الكتابة بعد اليوم، ولا بدّ أن يرتقي ذوق القراء، فلا تقرأ جريدة لا يشترك في كتابتها صاحب كفاية... لن يكتب بعد اليوم في السياسة إلا الاختصاصي في السياسة، ولن يكتب في الأدب إلا الاختصاصي في الأدب، ولن يكتب في العلم إلا الاختصاصي في فرع من فروعه، ولن يكون صاحب كفاية إلا مقدورًا قدره، ومتى كان أصحاب الكفايات وكبار الناس هم أساتذة الأمة وزعماؤها سارت في طريقها على هدى إلى الأحسن والأعلى...[73]

ويستشف من مقالة السكاكيني هذه عدة أمور أهمها: أنه ربط بين الصحافة ورقي الأمة، وهذا يدلّ على فهم عميق لرسالة الصحافة في العصر الحديث، لذلك اتخذها الزعماء السياسيون وغيرهم وسيلة لتحقيق أهدافهم على اختلافها، بعدما كانت وسيلة يستغلها بعض الناس لتحصيل الكسب المادي، كما أصبحت تهتم بالعلم والأدب

اهتمامها بالسياسة، فأدى ذلك إلى تطوّرها نحو الأفضل، وبعد أن كان شخص واحد يقوم بالإشراف الكامل على الصحيفة وتحرير معظم موادّها، صار لها كتّاب عديدون، فأدى ذلك إلى تجميل شكلها وإتقان مواردها وتنوعها، كما عدّت وسيلة مهمة من وسائل الثقافة المعاصرة، لأن كثيرًا من الناس يكتفون من الثقافة بما يقرؤونه في الصحف لا أكثر.

ويلاحظ أيضًا أن السكاكيني يدعو إلى أن تكون الصحيفة متخصصة في فرع من فروع المعرفة، كما يدعو كتّاب الصحف إلى أن يكونوا متخصصين فيما يودّون نشره، لأن مثقفي الأمة في الحقيقة زعماؤها، فعليهم إذًا أن يكونوا أصحاب كفايات كبيرة لتتمكن أمتهم من الرقي الحضاري كما يجب، وهذا لا يكون إلا بالتخصص، ولا يوصف المرء بأنه كذلك إلا إذا أتقن تخصصه».

الحلقة الثانية: الصحافة المسموعة

«هنا القدس» إذاعة فلسطين الأولى (1936 - 1948م)

عرف الفلسطينيون محطة الإذاعة من خلال إذاعة مصر التي كانوا يسمعونها عبر جهاز الراديو الموجود في حوزة بعض الأغنياء. أما المثقفون الفلسطينيون فرأوا فيها «أرقى أسباب التواصل بين الأمم، وهي تجعل المعمور الإنساني في مسمعك، وعما قريب على مرأى منك، في لحظات هي أعجل من لمحات البصر، فالمذياع رسول انقلاب في البشر، لا يعلم إلا الله مدى حدوده، وانبساط آفاقه، ومهما يكن للمذياع اليوم وغدًا من شأن عظيم في إحداث الانقلاب في المجتمع، فمن أخص ما نرى من مميزاته، أن له رسالة مقدّسة كُتب عليه أن يؤديها إلى الأمم، وإلى العرب في جميع أقطارهم، ألا وهي رسالة نشر الثقافة الصحيحة بأوسع معانيها، ويشترك في هذا العالم والمؤرخ والأديب والكاتب والشاعر والباحث والناقد والممثل والمغني والمطرب من رجال ونساء».(1)

وقد تأسست الإذاعة في فلسطين متأخرًا نوعًا ما عنها في البلاد العربية، فقد بدأ العمل الإذاعي في الجزائر في العام 1925م، وفي مصر في العام 1926م، وفي المغرب وتونس

وفلسطين في العام 1936م، «وكانت الحكومة الفلسطينية من أسبق الحكومات إلى تأسيس محطة لاسلكية لهذه الغاية».[2]

وكانت غايات حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين تريد تحقيق عدّة أهداف أهمها:

1. بدأت عوامل دولية تتفاعل وتشير لبوادر الحرب العالمية الثانية، وكانت بحاجة إلى نشر رسائلها وأخبارها بشكل أوسع للردّ على الدعاية الألمانية.

2. وفي أثناء ذلك بدأت بوادر اشتعال الثورة الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية معًا.

3. تمرّد الصحافة العربية في فلسطين على السلطة، وكانت ترفض نشر بياناتها الرسمية والأخبار الصادرة عنها، على الرغم من تعرضها للتعطيل، والعقاب طبقًا للقوانين الجائرة، وأهمها قانون الصحافة للعام 1933م، والتعديلات عليه.[3]

4. ولعل من أهم أهداف الإنكليز في تأسيس الإذاعة الفلسطينية هو شعور بريطانيا بكره العرب الفلسطينيين لهم، وميلهم لبطل الساعة آنذاك «أدولف هتلر».[4]

بالإضافة إلى ذلك، اهتم المسؤولون بجذب المثقفين العرب، سواء للعمل فيها أم في المساهمات الأدبية، وكانت الإذاعة تعمل باللغات الرسمية الثلاث الإنكليزية والعربية والعبرية، إلا أن الموظفين والأدباء العرب العاملين في الإذاعة، كانوا يتحسسون من استعمال اللغة العبرية إلى جانب اللغة العربية، بينما اعتبرها اليهود في فلسطين مكسبًا وتأكيدًا لدعم السلطة البريطانية لهم لمواصلة وعدهم (وعد بلفور) ببناء الوطن القومي في فلسطين ولتثبيت هويتهم.[5]

خليل السكاكيني (1878 - 1953م)

بداية الاتصال والرفض الضمني

بدأت الاتصالات بالأديب خليل السكاكيني لاختياره مديراً للقسم العربي في الإذاعة

فوافق، ثم علم أن لجنة تألّفت لمقابلة المرشــحين فثــار على هذا العمل وقال «إنها تريد أن تقابلنا، نحن الثلاثة، عادل جبر ورفيق التميمي، فتقبلنا وتقيسنا وتزِنُنا وتفحصنا فحصًا دقيقًا لتختــار واحدًا منا، كأننا أغنام أو أفراس أو آلات أو ســلع! أجلّ نفسي أن أزاحم أحدًا على مورد عيش ولو ســدّت كل الأبواب في وجهي؛ بل إني أفضل أن أموت جوعًا من أن أنتزع لقمة من فم أحد؛ بل إني مستعد أن أترك عملي إذا كان هناك من يعتقد، أو أنه اعتقد أنه أولى به مني، ليس الزحام من مذهبي. ليزاحم من شــاء، فإني لا أحبّ أن أعيش إلا قدر جهدي وكفايتي... بعد ذلك انســحب من الترشيح.[6] لتقديم مساهماته الأدبية للإذاعة.

لم يتوقف احتجاج الســكاكيني عند هذا الحد؛ بل تجاوزه ليوم افتتاح الإذاعة رســميًا بتاريخ 1 نيســان 1936م، عندما فوجئ الموظفون العرب والحضور عندما سمعوا المذيع اليهودي يعلــن أثناء ترجمته لخطاب «واكهــوب» الذي ألقاه في حفــل الافتتاح بالقول «إيرتس إسرائيل» أي «هنا إذاعة أرض إسرائيــل» فاحتج الموظفون العرب، ومن بينهم خليل الســكاكيني وامتنع عن تقديم أحاديث وعد بها ما دام اليهود يستمرون في استعمال هذه التســمية، وأحدث عمله هــذا ضجة إعلامية، وراوده مديــر الإذاعة أن يغيّر رأيه، ولكنّه أصرّ قائلًا: «إني لا أســتطيع أن أرضى عن تسمية فلســطين «أرض إسرائيل» فأنا عربي قبل كل شيء، والمسألة مسألة عاطفة وعقيدة، ولا يستطيع أحد أن يتحكم بعاطفتي وعقيدتي».[7]

ويعلّق الســكاكيني على حفل افتتاح محطة الإذاعة في رسالة إلى ولده «سري» بتاريخ 31/ 3/ 1936م، فيقول:

«كان أمس موعد افتتاح الراديو في فلســطين، والظن كل الظن أنكم لم تســمعوا شيئًا لاختلاف الوقت بيننا وبينكم، ومن حســن حظكم أنكم لم تســمعوا شيئًا، أما الموسيقى فتافهة، وأما الغناء فمن الدرجة المائة فنازلًا، ومع ذلك قلنا لا بأس، كل شيء في أوّله لا بد

أن يكون ضعيفًا. ولكن ما أثار غضب الناس، ما كان يتكرر في الترجمة من تسمية فلسطين بأرض إسرائيل. إذا كانت فلسطين أرض إسرائيل فنحن العرب دخلاء ثقلاء، وليس لنا إلا الرحيل، إنها لقحة عظيمة لا تستسيغها النفوس.

واليوم صباحًا أخذت التلفون وطلبت مدير الإذاعة وقلت له: «لقد قررت بعد أن سمعت كلمة «أرض إسرائيل» أن أقاطع الإذاعة الفلسطينية فاشطب اسمي».

وأحسست بعد إعلان هذه المقاطعة براحة عظيمة، أما الأحاديث التي أعددتها للراديو فسأنشرها في مجلاّت مصر.(8)

وحول انسحابه من الترشيح، يوضح في رسالة أخرى لولده كتبها في الرابع من نيسان يقول فيها:

«لقد كان لانسحابي من الخطابة في الإذاعة الفلسطينية استنكارًا لقول اليهود إن فلسطين أرض إسرائيل، ضجةٌ في طول البلاد وعرضها، وقد استغرب إقدامي على الانسحاب وأنا من عمال الحكومة الكبار كما يقولون، فإن عملي هذا قد يغضب الحكومة ويصوّرني لها بصورة الثائر المتمرّد، أو على الأقل بصورة المشاكس المشاغب، على حين كان الناس وكانت الحكومة معهم يعتقدون أن هذه الخدمة الطويلة قد روّضت طباعي وألانت قيادي ودمثت أخلاقي وجعلتني هيّنًا ليّنًا تأمرني فأطيع وتكلفني ما شاءت من الأعمال فلا أتأخر ولا أتردد إيثارًا لرضا الحكومة على كل شيء.

وقد استغربوه، لأنني الوحيد الذي انسحب من العمل في الإذاعة، وقد كان غيري من أصحاب الأعمال الحرة، ممن لا تربطهم بالحكومة رابطة، أولى بذلك، ولكن أحدًا منهم لم يفعل هذا.

إذًا، ليحيَ السكاكيني ولتحن لها الهام إجلالًا.

وقد استغربت الحكومة عملي كل الاستغراب وخافت منه كل الخوف، خافت أن

أكون قدوة سيئة لغيري، وأن يمتنع غيري كما امتنعت، ففزع مدير الإذاعة الإنكليزي إلى مدير المعارف مستعينًا به على إرجاعي إلى الطاعة، فاجتمعنا في إدارة المعارف فقال مدير الإذاعة:

اتفقت معنا أن تخطب، وقد قدّمت كلمتك الأولى وكلمتك الثانية كتابيًا، وقد أعلنا موعد إلقائك كلمتك الأولى في برنامج الإذاعة، فكيف انسحبت في الدقيقة الأخيرة؟

قلت له: ليس بيني وبينكم اتفاق مكتوب أولًا، وقد أبلغتكم انسحابي قبل الموعد بيومين أو ثلاثة، ففي استطاعتكم أن تدبروا غيري ثانيًا.

قال: «ولكنك من عمال الحكومة، وهذا يغني عن أن يكون بيننا وبينك اتفاق مكتوب».

فقلت: «مهما كان الأمر فلا أستطيع أن أتكلم في إذاعة تعلن أن فلسطين أرض إسرائيل.

قال: «إن انسحابك يعطل علينا عملنا، ويضطرنا أن نأخذ المتكلمين من الطبقة الثانية والثالثة».

فقلت له: «أشكرك كثيرًا على اعتباري من الطبقة الأولى بين المتكلمين ولكنني آسف، إذ إنني لا أستطيع أن أرضى عن تسمية فلسطين «أرض إسرائيل» فأنا عربي قبل كل شيء والمسألة مسألة عاطفة وعقيدة ولا يستطيع أحد أن يتحكم بعاطفتي وعقيدتي، ثم خرجت».[9]

ويتابع بفرح في نفس هذه اليومية بقوله: «وقد اضطرت الحكومة على أثر انسحابي أن تعلن أنها منعت اليهود من أن يسموا فلسطين أرض إسرائيل».[10]

افتتاح محطّة الإذاعة... ومواجهة مع الصحافة

وجّه المندوب السامي البريطاني «آرثر واكهوب» في 30 مارس/ آذار 1936م، دعوات

كثيرة إلى شخصيات عربية ويهودية وإنكليزية، ورؤساء البلديات الفلسطينية لحضور افتتاح أول محطة إذاعة في فلسطين في القدس، وحضر جمع غفير من المدعوين، حيث بدأ الافتتاح بالسلام الملكي البريطاني بدلًا من القرآن الكريم.

ثم ألقى مدير البريد العام «المستر هدسون» كلمة رحّب فيها بالجمهور، وكانت كلمته قد ترجمت للغتين العبرية والعربية، وألقى المندوب السامي «واكهوب» كلمة أثناء الافتتاح، حيث ذكر عن منفعة المحطة للأهالي في المدن والقرى الفلسطينية، وأن المحطة لن تكون لها صلة بالسياسة؛ بل سيكون الهدف الرئيس للمحطة نشر الثقافة العامة والمعرفة، وذكر أن الأمور الدينية لن تهمل في نشراتها اليومية، كما أشار في كلمته إلى فائدة المزارعين الذين سيستمعون إلى المحطة عندما يشرح لهم المذيع عن وسائل تحسين الزراعة، وستكون برامج المحطة أيضًا الموسيقى والأغاني وبث الروح الموسيقية الشرقية والغربية... وختم كلمته بالقول: «أنا سعيد جدًا لأنني في البلاد المقدّسة التي كانت جرداء قاحلة، وصحراء مهملة، إلى أن جاءت إسرائيل فأنقذتها؟». وفي نهاية كلمته ترجم خطابه إلى اللغتين العربية والعبرية؟[11]

كانت هذه الحادثة إحدى المواد المهمة على صفحات الجرائد، تناولتها بالاستنكار والتحليل بعد أن استفزتها.[12] فانتقدت جريدة «فلسطين» في عددها 2 نيسان 1936م، الحاج أمين الحسيني الذي كان في حفل الافتتاح ولم ينسحب، أو يخرج عندما سمع ذلك. بالإضافة لما رآه في «إنشاء المحطة عملًا رائعًا»[13] كما قالت. وكانت جريدة فلسطين من الصحف المعارضة للحاج أمين الحسيني واستمرت الصحف تكتب عن الحدث، ونشرت جريدة «اللواء» مقالة طويلة أثنت فيها على وطنية خليل السكاكيني، أحد مفتشي إدارة المعارف وأحد كبار موظفي الإذاعة لرفضه إلقاء المحاضرة التي كان مقررًا إلقاؤها احتجاجًا عندما سمع عبارة «إيرتس إسرائيل».[14]

وكتبت جريدة «اللواء» أيضًا بتاريخ 2 نيسان 1936م، حول الموضوع، فأثنت على فرقة

الـــدار، عندما هدّدت بجرأة بإنهاء عقدها مع دار الإذاعة، إذا لم تمنع اليهود من اســـتعمال هذه التسمية، إلا أن «اللواء» لم تتعرض لانتقاد الحاج أمين الحسيني كما فعلت «فلسطين» كونها الناطقة باســـم حزبه. وتعرّضت اللواء للنقد الشديد من بقية الصحف المعارضة مما يدل على الانقســـام الذي يلازم الصحافة وإن كان مبطنًا في كثير من الأحيان. وقد تفجّر هذا الخلاف على صفحات الجرائد حتى تاريخ 15 نيســـان، وتزعمت جريدة «فلسطين» التي عادت للموضـــوع وكتبت في أثناء مواصلة حملتها على المفتـــي. أن «الإذاعة تصبح يومًـــا يهودية»، وعززت أقوالها بما جاء في خطاب «واكهوب» الذي اقتبســـت منه ما جاء في كلمته أثناء الافتتاح. ولا شـــك أن مثل هذه الاستفزازات تجعلنا نقول: لا يمكن لوم الجريـــدة لانتقاد الإذاعة، التي تتحيّز دومًا للسياســـة الأنجلو صهيونية، وتختلف المزاعم لإيجاد مبررات لتهويد فلســـطين وسرقة الأراضي الصحراوية والزراعية، ولا عجب إن ظلت «جولدا مائير» دون حق تردد المقولة مع الحركة الصهيونية وتنفي وجود للشـــعب الفلسطيني.[15]

أما جريدة «الدفاع» التي كانت تصـــدر في يافا فعلّقت بقولها: «نحب أن نبدي بعض ملحوظـــات سريعة على الافتتـــاح، فنقول إن المذيع كان يقـــول (البرنامج الشرقي) كان الواجـــب أن يقول (البرنامج العربي)، كما أن المذيع العبري كان يكرر دائمًا بعد لفظ كلمة فلسطين (أرض إسرائيل) فهل أصبحت أرضنا إسرائيلية بحتة؟ إن هذه المحطة حكومية وليست إسرائيلية إلا إذا شاءت الحكومة أن تعتقد ذلك».[16]

ومن المعروف «أن برامج الفترة الإذاعية في المحطة كانت تكتب على صفحات الجرائد، وقد خصصت ساعات للبث الإذاعي باللغة العبرية، سواء أكانت أغاني أم أخبارًا أو حتى كلمات لزعماء يهود، كما خصصت للبثّ باللغة الإنكليزية.[17]

وفي كلمـــة العدد في جريدة الدفاع، تحـــت عنوان «لأول مـــرّة في التاريخ العربية مع العبرية تذاع –وأســـفاه... هذه القدس تتكلم: «لقد ســـمع الملايـــين في أوروبا وأميركا

لأول مرّة في التاريخ اللغة العبرية ترسل على موجات الأثير من القدس، إذًا هناك يهود وهناك صهاينة... اسمعوا أيها العرب اللغة التي تزاحم لغتكم، لغة الذي يزاحمونكم، لغة الحملة الصهيونية... سوف تألفين أيتها الأسماء في مكة والقاهرة وبغداد ودمشق لغة غريبة أجنبية أقامتها السياسة في بلاد عربية صرف، فأصبحت البلاد وأهلها في خطر، نعم ستألفين ولا ندري على من تقع التبعية والمسؤولية، أعلينا أم على كل عربي ومسلم في الدنيا، يا جهاز الراديو سوف تقبل الظل كريها.(18)

ونستنتج أيضًا، أن الشعب الفلسطيني لم يكن راضيًا عن الإذاعة الفلسطينية التي يتحكم بها الإنكليز والصهاينة، علمًا أن هذه الإذاعة كانت قد أنشئت بأموال عربية فلسطينية، ولم يرضَ الشعب الفلسطيني أن تكون لغة أخرى تزاحم اللغة العربية في الإذاعة الفلسطينية، حتى إن بعض الكتاب مثل «إبراهيم الشنطي» أطلق عليها اسم محطة «بابل» بدلًا من محطة الإذاعة الفلسطينية فكتب معلقًا في جريدة «الدفاع» تحت عنوان «هس اسكتي هل عرفت يا محطة بابل: إنها محطة الإذاعة الجديدة التي بدأت عملها بقولها –القدس تتكلم– بينما كانت القدس الممثلة في زعمائها جالسة على الكراسي تشرب الشاي، إنها المحطة التي يديرها الكاتب اليهودي «الأدون شورر» لكي يتفاهم اليهود مع جيرانهم العرب بواسطتها، على قدر ما كانت تعمل المرحومة «بريث شالوم»، إنها المحطة التي تجاهلت مهد المسيح وبراق محمد، وراحت تسمي فلسطين العربية أرض إسرائيل، إنها المحطة التي لا تستحق من جميع السامعين المساكين إلا لقب محطة بابل القرن العشرين.(19)

وكتب شعرًا في الجريدة معلقًا على المحطة الفلسطينية يقول فيه:

محطة بابل لا خير فيه	سوى للقاعدين على الكراسي
تحرض كل كوهين علينا	تذكره بنان الواد ناس
أيا كوهين أقدم يا أدوني	بلا عزيزي أو...
فأرضك أرض إسرائيل تدعو	أجبها يا أدون بلا احتراس

محطـــة بابـــل يـــا بنـــت رفـــكا ألا هـس اسكتي أوجعت رأسي[20]

أما الصحف اليهودية آنــذاك فقد اعتبرت أن حذف عبــارة إسرائيل هو نتيجة حملة الصحف العربية على السياســة الإنكليزية، فذكرت جريدة (دافار) اليهودية: «إن اليهود لم يحتجوا على استعمال كلمة فلسطين، فلماذا احتج العرب على استعمال كلمة إسرائيل».

أما جريدة (دورا يوم) فقد حملت في مقالها الرئيس بشدّة على موقف الحكومة وقالت: «إن عبارة أرض إسرائيل ستبقى ملء الأسـماع والأبصار لأنها تدل على هذه البلاد التي هي أرض إسرائيل لا أرض إسماعيل.[21]

وقد تصدرت جريــدة الدفاع والجرائد الفلســطينية الأخرى للجرائــد الصهيونية، فكتبت جريدة الدفاع «نقول للصحف اليهودية» إنها تتجنى كثيرًا، وأن نهاية التجني غير سارة، هذه بلاد عربية، وأليق بكم أن تطلبوا رحمة أصحابها لا أن تستفزوهم». وأضافت الجريــدة أيضًا: «عقــد الأدون بن زيون كاتس» مقالًا في جريــدة «هابوكر» حمل فيه على الحكومة لأنها حذفت عبارة أرض إسرائيل من محطة الراديو قائلًا: لو أن الحكومة فعلت ذلك من تلقاء نفســها لهــان الأمر، لكنها فعلته إرضاء للعــرب، وهو أمر غير جائز لأنه إهانة موجهة من العرب لليهود»، ويقترح في نهاية مقاله «أن يقال اســم القدس باللغتين الإنكليزية والعبرية «يروشاليم» وهو اســم يهودي تعترف به الحكومة، فتصدت جريدة الدفاع لمقاله قائلة «نؤكد للكاتب أن العرب مطمئنون إلى النهاية الســعيدة في أن بلادهم لهم وأنهم لا يعنون بهذه السخافات.[22]

إبراهيم عبد الفتاح طوقان (1905 - 1941م)
أول مدير للقسم العربي في الإذاعة الفلسطينية

ويبدو أن الأستاذين عادل جبر ورفيق التميمي لم يوافقا على شروط لجنة الإذاعة لتعيين أحدهما مديرًا للقسم العربي للإذاعة الفلسطينية، فوقع الاختيار على الشاعر إبراهيم عبد

الفتاح طوقان، وكانت لجنة الإذاعة قد قابلته سابقًا.[23]

ففي شهر آذار/ مارس في العام 1936م، تسلّم إبراهيم إدارة البرامج العربية في محطة الإذاعة الفلسطينية، بعد كل مناورات الإذاعة ومداوراتها، وهي المعروفة باللف والدوران، عملًا بقول سادتها في لندن وحبًا في خلق البلبلة ورغبة في تنفيذ سياسة مخطط لها.[24]

ويبدو أن إبراهيم كان متحسسًا من قبول هذا المنصب، من خلال رسالة بعث بها إلى صديقه «عمر فروخ» يقول فيها: «بعد أن قابلت الجماعة المسؤولين وحصل القبول، استولى عليهم نوم عميق كنت أنا خلاله ساهرًا، وبعدما يقرب من الشهرين عادوا وطلبوني للمقابلة وسألوني هذا السؤال البارد: هل أنت مستعد لقبول هذا المركز؟ فأنصفني يا أخي من هؤلاء السخفاء.

ولا بد من القول إنني كنت أتحسس الأخبار فأجد أنهم على اتصال مع أناس آخرين، يفاوضونهم في المشروع ذاته، ويقابلونهم ويقارنون بيننا، وكان قد تقدّمت طلبات عديدة وأخيرًا على ما ظهر، قرّ قرارهم على أخذي، وحوّلوا أوراقي للمندوب السامي ليوافق عليها.[25]

ولد إبراهيم طوقان في مدينة نابلس في العام 1905م، وتلقى دراسته الابتدائية في المدرسة الرشادية الغربية في نابلس، وانتقل إلى مدرسة المطران في القدس ونال شهادتها الثانوية.

في العام 1923م، نشر أول قصيدة له في الصحف، وفي العام نفسه انتقل للدراسة إلى الجامعة الأميركية في بيروت، ومنذ هذا التاريخ بدأت شاعريته تزخر وتمتلئ لتنبثق من معينها بعد أن أخذت عدّتها من هذه (الصناعة الدقيقة).

وفي العام 1924م، مرض مرضًا شديدًا، مما اضطره إلى العودة إلى نابلس، قبل انتهاء الفصل الدراسي الأول.

وفي العام 1926م، أحب فتاة فلسطينية كانت تدرس معه حبًّا عنيفًا وملتهبًا، ولكنه لم يكن موفقًا، فألهب مشاعره، وحفز أعصابه، إلى أن أنهى دراسته في العام 1929م، ونال شهادته الجامعية.

وفي العام الدراسي (1929 – 1930) عيّن معلمًا للغة العربية في كلية النجاح الوطنية في نابلس، لكن ذلك لم يلائم مزاجه، فارتبط بالجامعة الأميركية في بيروت، وعيّن أستاذًا في قسم الأدب العربي.

وفي نهاية 1932م، قدّم استقالته من الجامعة الأميركية وعاد إلى فلسطين، وعيّن معلمًا في المدرسة الرشيدية في القدس. في الوقت نفسه خضع إبراهيم إلى عملية خطيرة في معدته، شفي منها بسلامة الله، وخلال العامين 1934 – 1935م عمل في بلدية نابلس.

وفي العام 1936م، تسلّم إبراهيم مسؤولًا للقسم العربي في هيئة الإذاعة الفلسطينية في القدس وظل يشغل هذا المنصب حتى العام 1940م، فتكاتفت جموع البشر عليه أثناء عمله في الإذاعة، إلى أن أقيل من عمله بطريقة كيدية.

وأثناء ذلك، تعرّف على سامية عبد الهادي من الأسر الفلسطينية المعروفة، فتزوجها وخلّف ابنه البكر «جعفر» في العام 1938م، وابنته «عريب» في العام 1939م.

اشمأزت نفسه مما لقيه من أناس لا أخلاق لهم –حسب فدوى طوقان– فقرر السفر إلى العراق، وسجّل فورًا لممارسة التعليم في أحد معاهد العلم، لكن المرض اشتد عليه فعاد إلى نابلس، فنقل إلى المشفى الفرنسي في القدس... وبعد أيام قليلة، وفي مساء الجمعة الثاني من شهر أيار/ مايو في العام 1941م، أسند إبراهيم رأسه إلى صدر أمه، وقد نزف دمه، وخارت قواه، وهناك أسلم روحه إلى بارئها، واستراح استراحة الأبد.(26)

وحول اختياره مديرًا للقسم العربي، فقد ظلّت حكومة الانتداب حريصة على الاستفادة من الكفاءات العربية، علّها توصل رسالتها كما تريد.(27) فجاء تعيين إبراهيم

طوقان ليكون مسؤولًا عن البرامج الفنية الأدبية في الإذاعة، الذي يستغربه الباحث الدكتور عبد الرحمن ياغي فيقول: «ومن الغريب العجيب أن يقع اختيار الحكومة على الشاعر إبراهيم طوقان لإدارة البرامج العربية، وهمًا منها أن إبراهيم سيحقق لها ما تنوي إليه، وتطلّع الناس بقلوبهم إلى إبراهيم ليحقق لهم غاياتهم، فقد كانوا في مرحلة كفاح مرير مع الانتداب الغاشم، والصهيونية الأثيمة. وفي 29 آذار/ مارس في العام 1936م نقل الأثير لأول مرة في تاريخ الإذاعة أول صوت عربي إلى فلسطين خاصة وإلى الأقطار العربية العامة، ولم يكن ذلك الصوت إلا صوت إبراهيم طوقان الذي كان معقد آمال البلاد.[28] يقول نصري الجوزي (المقدسي) في كتابه «تاريخ الإذاعة الفلسطينية هنا القدس»: إن إبراهيم قد سرّ بعمله كل السرور، إذ مثل هذا العمل يوافق ذوقه وميوله. وشمّر إبراهيم عن ساعديه وآلى على نفسه أن يخدم أمته عن طريق الإذاعة وينبّه إخوانه إلى الأخطار المحيطة بهم، وكم وكم لقي من المصاعب والمناوءات أثناء عمله، إذ ما كاد يعمل لتقوية برنامجه العربي حتى قامت ثورة 20 نيسان/ أبريل 1936 التي أضرب فيها الفلسطينيون ستة شهور كاملة، تناولت جميع مظاهر الأعمال التجارية والصناعية وتعطلت حركة السير، وأغلقت المدارس أبوابها وأضرب المحامون عن المرافعة في غير القضايا الوطنية.

الظرف دقيق جدًا. الثورة الفلسطينية قائمة تضحي بأبنائها في سبيل رفعة الوطن ومستقبله مدة ثلاث سنوات، وفي السنة الرابعة قامت الحرب العالمية الثانية سنة 1939. ولكنّ إبراهيم ما فتئ يجاهد ويحسّن في البرنامج. وأخذ أنصار البرامج العربية بعد إضرابات الشهور الستة يشاركون في جهاده، ويتغلّبون على المصاعب القائمة. فقدّمت فرقة «الجوزي» التمثيليات الوطنية الاجتماعية، وألقى المحاضرون المحاضرات التاريخية الهادفة، واشترك العديد من الكتاب والأدباء في تقديم القصص القصيرة وبرامج الأطفال، وتحسّنت أنواع الأغاني البلدية والاجتماعية وتميّزت الألحان عما سبقها، وساهم ملحنون

ممتازون في تقديم الألحان الجديدة، كما أسهم إبراهيم نفسه في تقديم أحاديث الأطفال، والموضوعات التاريخية، وكان دائمًا يستشهد بالقرآن الكريم والأحاديث والبطولات العربية والأمثال التي تهدف إلى إظهار أخلاق العرب النبيلة.

ومن المواقف المشرفة البطولية التي كلفته جهدًا كبيرًا، ومقاومة عنيفة ضد السلطات الحاكمة والدعاية الصهيونية، هي حرصه ومحافظته على اللغة العربية الفصحى، لغة الآباء والأجداد.

فقد اهتمت الجهات القائمة على الحكم أن يتخذ القسم العربي ويستعمل اللغة العربية الدارجة بدلًا من اللغة العربية الفصحى، وحجّتها في ذلك أن اللغة الدارجة ترضي أذواق الجماهير وتقرّب لهم فهم الأحاديث والروايات المسرحية، وبرامج الأطفال وحتى الأغاني.

واستمر هذا النزاع قائمًا بين إبراهيم والسلطات الحاكمة وأذناب السلطات الحاكمة، والصهاينة الذين كانوا يحبون الدسّ والوقيعة بين الحكومة البريطانية الحاكمة وإبراهيم مدير قسم البرامج العربية. ووقف إبراهيم وقفة جبارة وبيّن للفئات المناوئة الحاقدة على العرب واللغة العربية أن القسم العربي لن ينوي نقل لغة امرئ القيس، والنابغة الذبياني إلى المستمعين؛ بل نقل اللغة العربية السهلة الممتنعة التي تفهمها أغلبية متعلمة قطعت شوطًا في المطالعة وقراءة الكتب الأدبية والعلمية الصادرة عن دور النشر في كل من فلسطين ومصر وسورية ولبنان.[29] وحول ذلك، يضيف نصري الجوزي، مسؤول فرقة التمثيليات التي تعاونت مع الإذاعة فيقول: وتألفت فرقة الجوزي حين تأسيس الإذاعة الفلسطينية «هنا القدس» ولم تشترك في البرامج العربية إلا بعد انتهاء إضراب الشهور الستة، وعودة الحالة الطبيعية نسبيًا إلى البلاد معتمدين على ملوك العرب الذين أذاعوا نداء إلى عرب فلسطين لوقف أعمال الثورة استنادًا إلى وعود من بريطانيا كاذبة.

وكنت وإبراهيم نتبادل الرأي ونتداول الأمور في الطرق التي ندحض فيها آراء الأذناب

الذين يهاجمون استعمال اللغة الفصحى في البرامج العربية. وكان يقول لي: «أرجو أن تهتم بلغة الممثلات والممثلين وتبيّن لهم كل شاردة وواردة، وتدربهم تدريبًا حسنًا وتشكل لكل منهم دوره حتى نتمكن من الحفاظ على لغتنا».[30]

ويقول الباحث زكي المحاسني: «إن إبراهيم وضع خطته لخدمة الجمهور، وخدمة التراث العربي الأدبي، واصطدمت الغايتان وثارت الصهيونية وامتدت الرقابة إلى كل ما يذيع إبراهيم، وإلى كل ما يعدّ من تمثيليات وأحاديث وقصص».[31]

كان إبراهيم طوقان يريد ألا تقل إذاعة فلسطين بشيء عن إذاعة مصر التي سبقتها إلى الظهور، فكان يدخل عليها كل ما ينفع الوطن والشعب، فتنبّه رجال الحكم إلى هذه الطريقة التي سار عليها، وحارب طوقان أسلوب اللغة العامية في الإذاعة؛ بل أراد استعمال الفصحى في حديث الإذاعة، وقد غضب عليه المستعمرون لاستعماله الفصحى.[32] ومضى إبراهيم في عمله دون كلل، فكانت البرامج التي أشرف عليها مزوّدة بكل ما يبعث على وعي الشعب، ويوقظ فيه النقمة على الفساد، ويذكّره بمآثر العروبة وعبقرية الأبطال الفاتحين.[33]

وفي 20 سبتمبر/ أيلول، أذاع إبراهيم بنفسه على الناس تحقيقًا أدبيًا أثبت فيه بالوثائق التاريخية أن السموءل الشاعر الجاهلي اليهودي كان ذا نزعة يهودية من حيث حبّه للمال، وأن هذه النزعة هي التي دفعت به إلى إيثار الذبح لابنه خارج الحصن، ولم يكن في الأمر عامل الوفاء، وإنما كان ذلك من أجل مال جسيم واعده به امرؤ القيس إذا استجاب لطلبه، فاهتاجت الصهيونية، وظلّت تدس له حتى انتهى الأمر بإقصائه.[34] بعد أن شكا علماء اليهود إلى البريطانيين الحاكمين. وأوغلوا صدورهم عليه، ناهيك عن تحريض الصحافة اليهودية، والدسّ عليه بصفته موظفًا في مصلحة حكومية، ولا يحق له أن يتطرق إلى مثل هذه المواضيع الحساسة.[35]

لم يتوقف التحريض ضد إبراهيم طوقان عند هذا الحد، ومن قبل الحركات الصهيونية

والجرائد اليهودية في فلسطين «فبعد قيام الحرب العالمية الثانية، قدّم إبراهيم قصة تحت عنوان «عقد اللؤلؤ» كان قد اقتبسها من كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ، وهي تدور حول الأمانة، وقد أوّل المشرفون على البرنامج أن «الأمين» بطل القصة إنما يرمز إلى سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني، ونظرًا لأن الحاج أمين مناوئ كبير للحكومة البريطانية عدو لدود لها، فإن المسؤولين اعتبروا عمله خروجًا على «العرف المسلكي»».(36)

والقصة في حد ذاتها لا تمت إلى السياسة بصلة، ولا دخل لها بالحاج أمين الحسيني مفتي الديار الفلسطينية وإنما خرّجها اليهود وأوّلوها كما يحلو لهم ويروق، ودسّوا للإنكليز وأقنعوهم أن القصة ترمز إلى مناوئة الإنكليز، وحضّ الشعب الفلسطيني على الالتفاف حوله، وهو العدو الألد للإنكليز والصهيونية.

«ويعزو كثير ممن كتبوا عن مسيرة إبراهيم طوقان، أن قصة «عقد اللؤلؤ» كانت السبب المباشر لإقالته من الإذاعة، في أول تشرين الثاني/ أكتوبر في العام 1940م. إلا أن صديقه وعشيره وزميله في الحل والترحال، ورفيق الهوى والشباب في الجامعة الأميركية ونابلس وبغداد «عمر فروخ» يذكر أن السبب الأساسي لإقالة إبراهيم قصيدة نظمها في ذلك الحين مطلعها:

ورد وصحن وغيد في الجامعات ... يا شهر أيار يا شهر الكرامات

ويقول فروخ حولها: «هذه القصيدة في المجون، وهي عجيبة من العجائب في حسن التصوير والسبك في الشاعرية، وقد لاقت هذه القصيدة رواجًا كبيرًا وانتشرت بالرواية والاستنساخ أكثر من شعره الذي نشر في الصحف والمجلات».

«غير أن في هذه القصيدة تعريفًا شديدًا بأحوال دينية معينة، وبأشخاص كانت تحتضنهم السلطة الإنكليزية ذكرهم إبراهيم بأسمائهم»... فأقيل من عمله، وهو ما كانت تسعى إليه الحركة الصهيونية وسلطات الانتداب معًا».(37)

عجاج نويهض 1897 - 1982

ثاني مديري الإذاعة الفلسطينية

راحت الحكومـة الإنكليزية تفتش عـن بديل يتولى إدارة القسـم العربي في الإذاعة الفلسـطينية بعد أن أقيل إبراهيـم طوقان، فوقع اختيارها على الأسـتاذ عجاج نويهض فأبـى أن يقوم بهذه المهمة والظـروف حرجة والحرب العالمية الثانية تشـغل بال الناس، والمعتقلات ملأى بالمناضلين الذين دافعوا عن أرضهم ووطنهم.[38]

ولد عجاج نويهض في بلدة «رأس المتن» بلبنان في العام 1897م، وتلقى دروسه فيها، ونال الثانوية من مدرسة سوق الغرب.

وبعد الحرب العالمية الأولى انضم إلى حكومة الأمير فيصل في دمشق، وفيها تشارك مع الأديب عبد الله النجار وأصدرا مجلة «القلم»، وكان يتردد على النادي العربي الذي يرأسه الشيخ عبد القادر المظفر وتأثر بنشاطه. وفي العام 1922م، عيّن في ديوان الترجمة مع ساطع الحصري، وكان المربي اللبناني جرجس همّام رئيسًا له.

بعد انهيار الحكم الفيصلي في سوريا، اختار نويهض بيت المقدس، فاختاره الحاج أمين الحسيني سكرتيرًا للمجلس، فمسـاعدًا لمفتش الشرعية في فلسطين، وظل يعمل فيه من العام 1923 إلى العام 1932.

وفي القدس، التحق بمعهد الحقوق ونال شهادتها في العام 1924م، وأسس في القدس مكتبًا للمحاماة وكان يراسل جريدة «الأهرام المصرية».

وفي العام 1932م، اسـتقال من المجلس الإسلامي، وأنشـأ مجلة «العرب» السياسية الأسـبوعية، وفي نفس السنة قام، ورهط من السياسـيين والمثقفين، بتشكيل أول حزب سياسي في البلاد (حزب الاستقلال العربي الفلسطيني).

وأثنـاء ثورة 1936 وإعلان الإضراب العام، قامت سـلطات الانتداب باعتقال قادة

الحركة الوطنية، وكان عجاج بينهم، وفي العام 1937م، أوقفت السلطة نشاط الأحزاب السياسية، وفي أواسط العام 1940م، طلبت منه السلطة البريطانية تولي مراقبة القسم العربي في الإذاعة، بعد إبراهيم طوقان فرفض ثم عادت السلطة الطلب، فوافق عليها بشروط (سنأتي على ذكرها).

وبعد النكبة لعب دورًا بارزًا في إنشاء المملكة الأردنية الهاشمية، وصاغ مقررات مؤتمر أريحا، فقرّبه الملك عبد الله منه، وعيّن مساعد رئيس الديوان الملكي الهاشمي، ثم مديرًا للإذاعة الأردنية، ثم مدير عام المطبوعات والنشر، وفي أعقاب 1959م، عاد عجاج إلى مسقط رأسه ليتفرغ للكتابة والأدب، وفي 25/ 6/ 1982م، توفي في بيروت ودفن فيها.[39]

ومن مترجماته المطبوعة:

1. حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه الباحث الأميركي (لوثروب ستودارد) أربعة أجزاء، طبع في مصر 1924م.

2. العراق أو الدولة الجديدة: لمؤلفه السير (تيكل داود سون)، عام 1932م.

3. النظام السياسي – نظرياته وأشكاله: لمؤلفه الإنكليزي (ج.د.ه. كول) عام 1933م.

ومن مؤلفاته:

1. الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي: طبع في القدس عام 1935م.

2. حديث الإذاعة: (الجزء الأول): القدس عام 1942م.

3. أبو جعفر المنصور: لبنان عام 1962م.

4. بروتوكولات حكماء صهيون (جزءان): بيروت 1967م.

5. رجال من فلسطين: بيروت منشورات فلسطين المحتلة عام 1981م.[40]

وفي رسالة كتبها عجاج نويهض إلى يعقوب العودات في الرابع من شهر آذار/ مارس

1979م، لإعداد كتابه «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» ذكر له شروطه لتولي إدارة القسم العربي في محطة فلسطين العربية، فيقول: بقي الإنكليز يفاوضونني في أمر تولي الإذاعة، وضعت شروطًا فما قبلوها، ثم مضت على الحرب السنة الأولى حتى دخلتها اليابان، فراجعني الإنكليز فقلت لهم لا أغيّر من الشروط حرفًا ولا أكتب معكم عقدًا، ولكن أتفق معكم اتفاقًا جنتلمانيًا. فأنا سأفي بما أراه واجبًا، وأما أنتم فمتى شعرت بتغيير نياتكم فسأذهب إلى بيتي فورًا، ومن بيتي أبعث لكم تلفونًا أني استقلت».[41]

أما الشروط الثلاثة التي طالب بها عجاج نويهض فهي:

1. أن يكون القسم العربي مستقلًا إداريًا تمام الاستقلال بموازنته وتعيين موظفيه.
2. ألاّ يتدخل أي عامل من جهة الحكومة في تسيير دفة العمل غير ما يتعلق بالأمور الفنية.
3. ألاّ يقبل يهودي مهما يكن مركزه في أن يدخل مكاتب القسم العربي، إلا الموسيقار المغني العراقي المشهور (عازوري).[42]

وعلى هذه الشروط تولّى الأستاذ (عجاج) العمل في القسم العربي أربع سنوات باسم (مراقب البرامج العربية والنشر).

وعندما قبل عجاج هذه المهمة، كان على قناعة بالدور الفعّال والمهم، الذي يمكن أن تلعبه الإذاعة في نهضة فلسطين، وتصبح مجالًا للنهوض بالثقافة العربية والإسلامية على أوسع نطاق، وقد كتب عن فاعلية هذا الدور للإذاعة في مقدمة كتاب «حديث الإذاعة».[43]

وبهذا الفهم وضع نويهض برنامجًا محكمًا لتحقيق رؤيته وأهدافه، وحدّد لهذا البرنامج المهمات التالية:

1. الارتفاع بمستوى اللغة العربية الإذاعية.

2. فتح البـاب على مصراعيه لأدبـاء العرب في فلسـطين والأردن ومصر والعراق وسورية ولبنان لكي يسـهموا في خدمة الثقافتين العربية والإسلامية بإسهامات مجدية مفيدة.

3. العناية بالمواسم والأعياد الإسلامية والمسيحية.

4. جعل فناني الفرق الموسـيقية العربية يتعلمون (النوطة) الموسـيقية على حسـاب المصلحة، وكانوا من قبل لا يستطيعون قراءتها وكل محصولهم هو الحفظ.

5. العناية التامـة بالأغنية الجديدة والنشـيد العربي، وطنيًا قوميًا، وإسـلاميًّا دينيًّا، والعزوف عن الأغاني المائعة.

6. تنشيط الرواية الإذاعية إلى أبعد حد.

7. تشـجيع أرباب المواهب العربية الفلسطينية في الغناء، وتشجيع المباريات الشعرية مع جوائز.

8. العناية بـ(العربي الصغير) أو (برنامج أحداث العرب) مع جوائز شهرية.

9. فسح المجال للأدب العربي في جميع أبوابه.

10. إقامة مواسم الأدب سنويًّا بمناسبة شهر رمضان المبارك.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية الجليلة، رأيناه يدعو كتّابًا وباحثين ومحاضرين من فلسطين والبلاد العربية المجاورة.(44)

فالأخطل الصغير يتقدم بتحية شـعرية لفلسطين في مسـاء الخميس، الثاني من نيسان سـنة 1942م، والأسـتاذ عبد اللطيف الطيباوي يحاضر الناس عـن الجيش في التاريخ الإسلامي، ثم عن التربية والتعليم في العصور الإسلامية، والأستاذ عبد السلام البرغوثي يتحدث عن ديار العرب والإسلام، والأسـتاذ عباس محمود العقاد يتحدث عن الحرب

بعد اثني عشر شهرًا وستة أسابيع، وذلك في 14 تشرين الأول سنة 1940م، وقبله فعل فعلته الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني، فحاضر عن العرب، وموقفهم من تلك الحرب، وذلك في العاشر من تشرين الأول سنة 1940م، ثم في الثالث عشر من الشهر نفسه والعام ذاته، ويذيع الأستاذ العزيز البشري حديثه عن الدولة الأموية في هذه الفترة، ويذيع الأستاذ محمد كرد علي حديثًا بعنوان (هل تمدنّا؟)، ويقبل على البلاد مدير المطبوعات في جمهورية لبنان الأستاذ خليل تقي الدين، ليحدث الناس حديث رمضان حول الأدب العربي، ويتحدث الأستاذ نسيم يزبك إلى الناس حديثًا بعنوان (نظرة في مستقبل العرب).

وكذلك شارك الكتّاب والأدباء العرب: خليل مردم، وشفيق جبري، وسامي الكيالي، والشيخ مصطفى الغلاييني، وفؤاد الخطيب، وبشارة الخوري، وطه الراوي، والدكتور محمد عوض.

ومن أدباء فلسطين: عمر صالح البرغوثي، وحمدي الحسيني، وخليل بيدس، والشيخ سليمان الجعبري، ومحمد يونس الحسيني، ووديع البستاني، وإسكندر الخوري البيتجالي، وعادل جبر، ومحي الدين مكي، وجميل الجوزي، ونصري الجوزي، وطيبو الصيداوي وغيرهم.(45)

ومن أبرز الأديبات النساء: تتحدث السيدة أسمى طوبي عن تربية الطفل ودعائمها الثلاث، وتتحدث السيدة ماري صروف شحادة عن التربية في الأسرة العربية... والآنسة قدسية خورشيد تذيع عن شخصية المرأة، بالإضافة إلى الأديبات «سلوى سعيد ووديعة شطارة وعزيزة الحشيمي الصالح» وغيرهن.

ومن إنجازات إذاعة القدس في عهد عجاج نويهض، فرض مستوى جاد في الإنتاج الغنائي، ولـمّا كانت علاقة الأستاذ نويهض بالكلمة دون الموسيقى فقد نفّذ رغبته بالإصرار على اختيار عيون القصائد العربية القديمة والحديثة لتتحوّل إلى أغنيات، وهكذا استمعنا إلى قصائد ملحّنة لأبي نواس وصفيّ الدين الحلّي. ثم واصل الشاعر أبو سلمى (عبد

الكريم الكرمي) هذا الخط بنظم قصائد جديدة مخصصة للتلحين والغناء.

واستمر عجاج نويهض في محاولاته لإيجاد ألوان تختص بها إذاعة القدس (بعد انتقالها إلى رام الله) فكلّف توفيق باشا بتلحين أغنيات خاصة بالأطفال. وكثيرًا ما كانت إذاعة القدس تستضيف كبار الفنانين من مصر، ولاسيّما في المواسم (كموسم شهر رمضان)، مثل الشيخ محمود صبح، وفتحية أحمد، وفريد الأطرش، وأسمهان وغيرهم.[46]

عزمي النشاشيبي (1903 - 1995م)
ثالث مديري القسم العربي في الإذاعة الفلسطينية

عرّفت الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية بعزمي النشاشيبي، فذكرت «أنه ولد في مدينة القدس في العام 1903م، وتلقى علومه المبكّرة في إستانبول، فالتحق بالجامعة الأميركية في بيروت، فدرس الأدب والفلسفة، وتخرج منها في العام 1919م، وأكمل تحصيله العلمي في جامعة لندن، وتخصص الصحافة والعلوم السياسية، ونال شهادتها في العام 1930م، وكان أول صحفي فلسطيني يحصل على دبلوم صحفي من بريطانيا.

بدأ حياته كمحرر لمجلة «فلسطين» التي تصدر باللغة الإنكليزية في يافا، عيّن سكرتير الوفد الفلسطيني الرابع إلى لندن في العام 1930م، وأصبح بعدها ضابطًا محليًا في السلطات البريطانية منذ العام 1931م، فعمل كملحق صحفي في القنصلية العامة البريطانية في بيروت في العام 1938م.

عاد إلى فلسطين، وعمل في حكومة الانتداب كمساعد لمسؤول الإعلام، ومراقب الصحافة المسؤول عن منطقة يافا في العام 1940.[47]

وفي العام 1944م، عيّن مديرًا للقسم العربي في الإذاعة الفلسطينية «هنا القدس». وفي أثناء ذلك كان عزمي النشاشيبي يذيع حديثًا أسبوعيًا عنوانه «بيني وبين المستمعين» كان

من أنجح البرامج وقتئذ وأكثرها صراحة، عدا أنه كان يعالج مواضيع الساعة، ويرد على أسئلة القراء وشكاويهم ويوجههم إلى ما يريد توجيهه.[48]

وجوابًا على سؤال طرحه «نصري الجوزي» على الأستاذ عصام حمّاد الذي عمل في الإذاعة بين كانون الأول/ ديسمبر 1944 إلى 15 أيار/ مايو 1948.[49] فيقول حمّاد: «كانت الأوضاع ملائمة جدًا «خلال هذه الفترة التي رأسها المرحوم عزمي النشاشيبي: لأن تبرز الإذاعة الفلسطينية وجه الحياة الثقافية في فلسطين على أروع ما يكون، لاسيّما وأن الإذاعة في ذلك الوقت كادت أن تكون المرآة العريضة الوحيدة للحياة الثقافية العامة في البلاد.[50] وبالإضافة إلى برنامجه الأسبوعي، بيني وبين المستمعين قدّم عزمي النشاشيبي موضوعين ناجحين:

1. زاوية العلوم والآداب: وهي زاوية كانت محببة إلى المستمعين تقدّم للمستمع تطور العلوم والآداب العالمية بلغة مبسطة وشرح قريب إلى الأذهان.

2. والزاوية الثالثة التي أفرغ فيها جهده هي: زاوية إحياء الموسيقى القديمة (التراث).

ومن الواضح أن عزمي قد اهتم اهتمامًا كليًّا لإحياء الغناء العربي القديم، وكان من جملة الأغاني التي نقلها عبر الأثير إلى عشاق الفن والطرب هي الموشحات الأندلسية التي لاقت قبولًا حسنًا عند المستمعين، خصوصًا عندما يغنيها الفنان المعروف «يحيى السعودي» بصوته الجهوري.

وكانت بادرة محببة تلك التي قام بها عزمي النشاشيبي، وذلك بإدخال «الإذاعات المنقولة» أي البث المباشر من الحرم الشريف والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وكنيسة المهد وأماكن العبادة للعديد من الطوائف الإسلامية والمسيحية، وكان قد تعاقد مع المرتلين المعروفين كالشيخ محمد رفعت والشيخ منصور الدمنهوري، إضافة إلى المرتلين الفلسطينيين الذين كانوا يبعثون التقى والورع بين المستمعين.

ومن آثاره القلمية:

1. من القدس إلى لندن، القدس 1947م.

2. من القدس الشريف إلى النجف الأشرف، القدس 1950م.(51)

الكتّاب المساعدون في البرامج الإذاعية

علينا ألا نغمط حقوق مساعدي البرامج، والمذيعين، وواضعي برامج الأطفال والأسرة والشباب، الذين أسهموا إسهامًا فعّالًا في تسيير دفة الأمور، وتحسين البرامج، وإبداء الآراء الصائبة والاختصاص ببرامجهم التي غذوا بها رغبات الشعب العربي الفلسطيني.

ولأن مساحة البحث في هذه الدراسة، لا تسمح بتقديم ترجمات عن حياة أولئك الذين يحتلون مكانة أدبية وشعرية وعلمية في فلسطين وفي البلاد العربية، نكتفي بذكر أسمائهم وهم: عبد الحميد ياسين، محمد أديب العامري، راجي صهيون، سعيد العيسى، عقيل هاشم، عصام حمّاد، موسى إبراهيم، رباح الدجاني.(52)

والخوض في الأحاديث العلمية والدينية والتاريخية والأدبية، هناك المئات من الموضوعات والأحاديث التي بثت في الإذاعة، التي لا مصادر لها، وهناك بعض النصوص التي أوردها الأستاذ عجاج نويهض في الجزء الأول من كتابه «حديث الإذاعة».(53)

لقد أثبت وجود الإذاعة في القدس، أن فلسطين كانت موئلًا للثقافة والعلم «ويقول عزمي النشاشيبي (آخر مديري الإذاعة في القسم العربي): إن البرامج الكاملة للإذاعات العامة تتكون من ثلاثة أقسام: الموسيقى والغناء والأحاديث والتمثيليات، وأقرب هذه الأقسام إلى قلوب الطبقة المثقفة من المستمعين، وأبعدها أثرًا في نفوسهم هي التمثيليات بلا ريب.(54)

وقبل أن نستعرض ما قدّمته الفرق المحلية للإذاعة الفلسطينية، من المناسب أن نعطي

قائمة قصيرة بأسماء بعض المسرحيات ومؤلفيها من التراث العالمي التي عرضت من أستوديو الإذاعة هي:

1. عن الأدب الإنكليزي.

- وليم شكسبير: روميو وجولييت، يوليوس قيصر، ماكبث، هاملت، الملك لير، كما تحبّها، تاجر البندقية.
- أوجين أونيل: الينبوع، أيام بلا نهاية، الإمبراطور، جونز.
- شون أو كيسي: ظل القناص، المحراث، وراء البوابات، ورود حمراء، من أجلي، الغبار الأرجواني.
- أوسكار وايلد: مروحية الليدي وندرمير، زوج مثالي، أهمية أن تكون جديدًا.
- برناردو شو: القديسة، جوان، جاك دارك.
- جون غولزو ورثي: الصندوق الفضي.

2. عن الأدب الفرنسي:

- موليير (جان بابتيست بوكلان): مدرسة الأزواج، المريض بالوهم، البخيل، البروجوازي النبيل، النساء العالمات.
- فكتور هيجو: أحدب نوتردام، البؤساء.
- فولتير (فرنسوا ماري): أوديب، سمير أميس، أيرين.
- ألكسندر دوماس: غادة الكاميليا.
- جان راسين: اندروماك، فيدر، آستر.
- بيير كورني: السيد، هوراس، الكذوب.

3. عن الأدب الألماني:

- بيرتولت برخت: أوبرا القروش الثلاثة، النهاية الســعيدة، الأم، السيد بتشيلا، ورجله ماتي.

4. عن الأدب الروسي:

- نقولا غوغول: المفتش العام، الزواج.
- أنطوان تشيخون: الزفاف، عرض الزواج، الدب، روح الغابات.
- ليو تولستوي: قوة الظلام، ثمار التنوير، ضوء ينير الظلام، وكل شيء ينبع فيها.
- إيفان ترجنيف: الطفيلي، شهر في الريف.

5. عن الأدب المصري:

- أحمد شوقي: مجنون ليلى، مصرع كليوباترا.
- توفيق الحكيم: أهل الكهف، شهرزاد، بجماليون، بنات بلادي، نهر الجنون.
- محمود تيمور: المخبأ رقم 14، قلب غانية، أبو علي عامل آرتيست.

6. عن الأدب اللبناني:

- فرح أنطون: صلاح الدين الأيوبي.
- سعيد تقي الدين: لولا المحامي، قضي الأمر.

7. عن الأدب المحلي الفلسطيني:

- نصري الجورزي (تأليف): الحق يعلو، فـؤاد وليلى، بين الحب والواجب، على الباغي تدور الدوائر، معجون الحب، باسـم الحداد مع الخليفة هارون الرشـيد، حياة تحطمت، ضمير يتنبّه، ما وراء الســتار، بنداريديو، لوكاندة الهدوء والراحة،

عشاق التماثيل، أشباح الأحرار، وعشرات غيرها.

• كما ألفّ للطلبة: أنا لا أحارب من أجل عمر، جابر عثرات الكرام، الطرف الثالث، الدنيا أم، ذكاء القاضي، العدل أساس الملك، جحا، ابن الأكرمين، حاتم الطائي والرسول، الوفاء.

• جميل الجوزي (مترجمة): السبحة، الحطام، الصورة، حياة تحطّمت، الشجاع، يد الله، الزوجة الخرساء، الأستاذ كلينوف، صباح يوم مشمس، المرحوم، غرام أعمى، الجلف، الرسالة، عبيد الذهب وغيرها كثير.

• فريد الجوزي (موضوعة ومترجمة ومقتبسة): أبو شوكة، التلفون، كيد النساء غلب كيد الرجال، الصعلوك، اللي حفر حفرة وقع فيها، العلاج الشافي، ثري الحرب، الدب، النسوان في إجازة، جبر الخواطر، الطبيب والمرضى، رزق الهُبُل على المجانين، أم نبيه والاختراعات الجديدة، جحا وأبو فراس في المحكمة، طبيب العيون وغيرها.

• إميل الجوزي (مترجمة ومقتبسة): الأستاذ المغفل، في ذمّة القضاء، نقطة الدم، الحقيبة الزرقاء، مات الملك عاش الملك، عواد كريمون، الخطايا السبع، عذراء بلمنت.

• شكري السعيد (تأليف): قلب من رماد، زواج بلا ميعاد، امرأة بالغلط، سمّار في مصيف، باريس، أنوار في الصحراء، هجرة الرسول الكريم، من أجل الوطن.

• المسرحيات الإذاعية لمجموعة من المؤلفين والمقتبسين: معجزة الهجرة، أنوار في الصحراء، بطولات عربية، هجرة الرسول، جميل بثينة، قيس ولبنى، هذا النبي المنتظر، خولة الكندية، سيد ربيعة، الزباء، بطولات فلسطينية.[55]

قسم الموسيقى وأثره

نجد أن أعلام الفن العربي أمّوا الإذاعة الفلســطينية، وبعضهم عملوا فيها، وتنحصر دراستنا هنا للحديث عن القسم الموسيقي في الإذاعة، وما يتبعها من لحن وغناء وعزف، وفن وذوق وعلم وأدب ودرس، وتدلل على مدى ارتباطها بالتراث.

فعُرفت الإذاعة الفلســطينية بمعزوفات تطرب لها النفس، ويقــرّ بها الخاطر، قام بها لفيف من الفنانين المعروفين، نذكر منهم:

- سامي الشوا: عازف الكمان.
- جليل ركب: كمان منفرد.
- أرتين ترياقيان: سنتور منفرد.
- إبراهيم عبد العال: عازف القانون.
- توفيق جوهرية: عازف الناي.
- يحيى السعودي: عازف عود.
- رياض عيسى البندك: عازف عود.
- رامز الزاغة: عازف عود.
- إسكندر الفلاس: عازف عود.
- روحي الخماش: عازف عود.
- يوسف بتروني: عازف بيانو.
- واصــف جوهريــة: من الذين لهم فضل كبير في نشر الموســيقى في فلســطين، تعلّم العزف على الرباب والطنبور والعود وأتقن الأزهايج والدبكات والموشــح الأندلسي.[56]

وإلى جانب الموسيقى وآلاتها، فقدت ظهرت في فلسطين من خلال الإذاعة مجموعة من المطربين الذين ساهموا في إثراء القسم الإذاعي مددًا طويلة من البرامج الغنائية نذكر منهم:

- فهد النجار: عرف في فلسطين، وتابع الغناء بعد النكبة في محطة الإذاعة الأردنية.
- فيروز: شقيقة المطرب «فهد» رافقت شقيقها في جميع مرافق حياته، وأسكرت السامعين بصوتها الحنون، كما شاركت في برامج الأطفال.
- ماري عكاوي: لها صوت عذب وحنجرة قوية، غنّت في الإذاعة وتناقلت أغانيها الإذاعات العربية، وخصوصًا قصيدتها المشهورة «يا جارتي ليلى».
- جميل العاص: وكان يتحف المستمعين بغنائه الشعبي وصوته الجهوري الذي يهز أوتار القلوب.
- يحيى السعودي: المغني المعروف (تحدثنا عنه).
- محمد غازي: وهو من قرية «يازور» قرب يافا، وكانت مقدرته الفنية في الأداء تُعد مدرسة قائمة بذاتها، ويعد من أقدر المطربين الذين مروا في تاريخ الغناء العربي الحديث.
- يوسف رضوان: كان مشهورًا بتأدية الموال البغدادي والأغاني الشعبية الفولكلورية القديمة.
- رجاء الفلسطينية: كانت تغني الغناء الطربي القديم، وهي من السيدات الجميلات اللواتي لعبن أدوارًا مهمة في الحياة الاجتماعية.
- كاظم السباسي: عنده صوت رخيم وحنون.
- روحي الخماش: من ألمع الشبان الذين عرف عنهم مقدرة وفنًا، كان يقضي

الساعات الطوال إلى ما بعد منتصف الليل يعزف ويغني على عوده، ويطرب الحضور من حوله.[57]

الفنانون والفنانات من البلاد العربية

جذبت الإذاعة الفلسطينية عددًا كبيرًا من فناني الدول العربية المجاورة، الذين أمّوا البلاد للعمل في محطة الإذاعة «هنا القدس». ولا بد من التنويه إلى أن الإنكليز قاموا بتأسيس محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية في يافا، للقيام بالدعاية الكبيرة خلال الحرب العالمية الثانية، وكانت تدفع للفنانين رواتب محترمة، وكذلك للموظفين الدائمين أو للمحدثين والفنانين والفرق التمثيلية الإذاعية، كما أنها كانت تسهل دخول من تريد إدخالهم من القادمين من البلاد العربية، الأمر الذي انعكس إيجابًا على العاملين في محطة «هنا القدس».

وأَمَّ فلسطين وقتئذ، بين السنوات 1934 – 1948م، عدد كبير من الفنانين والفنانات المعروفين من مصر وسورية ولبنان، وأسهموا إسهامًا جيدًا في رفع مستوى الموسيقى والغناء، ومن بين هؤلاء: السيد الصفتي، محمود صبح، حليم الرومي، رجاء عبده، رياض السنباطي، فتحية أحمد، إيليا بيضا، عزام شيبا، صابر الصفح، جميل كرم، سهام رفقي، ماري جبران، نجاة علي، عمر البطش، ولور دكاش، ومحمد دكاش.[58]

ومن زوار الإذاعة الفلسطينية المذيع والمخرج الإذاعي المعروف عبد الوهاب يوسف، كبير المذيعين في محطة الإذاعة المصرية، وقد علّق على التمثيل في فلسطين بقوله: «بيد أنك تجد من بين هؤلاء المهتمين بالتمثيل في فلسطين شبابًا أصحاب علم بهذا الفن، من حيث مبادئه وأسسه ويعلمون الكثير عن الأدب المسرحي وتاريخه منذ نشأته ثم تطوراته وما وصلت إليه الأقطار العربية والأوروبية في هذا المضمار، وقد استطاع بعض أصحاب الفرق التمثيلية أن يثبتوا وجودهم في تهيئة رواية الراديو، سواء أكان الموضوع مؤلفًا أم مقتبسًا أم مترجمًا.[59]

وكذلك، أسهمت الأسطوانات وأغاني الأفلام المصرية إسهامًا فعالًا في إنعاش القسم الموسيقي في محطة الإذاعة الفلسطينية، وبنفس الوقت ساهمت الإذاعة الفلسطينية في التعريف بأولئك الفنانين في فلسطين والعالم العربي، ولبّت محطّة «هنا القدس» طلبات المستمعين بتقديم الأغاني المحببة لأشهر المطربين والمطربات في العالم العربي الذين تظهر أغانيهم في الأفلام، خاصة عندما يزورون فلسطين ويعلن عن برامجهم الاحتفالية فيها، فظهرت أغاني أفلام: محمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وفريد الأطرش، وأسمهان، ومنيرة المهدية، وليلى مراد، وسهام رفقي، ولور دكاش.

فعلى سبيل المثال: غنّت سهام رفقي فأطربت وانتشرت أغانيها بين الجماهير، يقول الفنان المسرحي نصري الجوزي: «فكانت إذا مرّت في أسواق القدس القديمة، كان يتبعها عشاق الغناء والطرب ويوقفونها ويتوسلون إليها أن تغنيهم قصيدتها التي اشتهرت بها «يا أم العباية... حلوه عباتك» ويرددون وراءها، فيهرع البوليس الإنكليزي ظانًا أن الفلسطينيين يتظاهرون، وعندما يعرف جلية الأمر يشرع في الضحك والقهقهة فيتبعه الأولاد وهم يقلدونهم في قهقهاتهم».[60] ويذكرها الكاتب المناضل «شفيق الحوت» في كتابه بين الوطن والمنفى» يصف أحياء يافا: «ها هو كملصق الفنانة الصاعدة سهام رفقي وأغنيتها المشهورة يا أم العباية».[61]

أما لور دكاش – يقول نصري الجوزي– فكان لها الكثير من عشاقها وعشاق أغانيها، وكانت أحلى أغنياتها وأقربها إلى عشاق الطرب في فلسطين هي: «آمنت بالله، نور جمالك آية، آية من الله، آمنت بالله».[62]

هكذا، كان القسم العربي في إذاعة «هنا القدس» متقدّمًا جدًا، في استقطاب الكثير من الأدباء العرب، إضافة إلى أقرانهم من الفلسطينيين الذين شكّلوا نواة فنية وثقافية عملت على تطوير برامج الإذاعة ونشاطاتها، وساهمت في تطوير الحياة الثقافية والفنية في المجتمع الفلسطيني الذي كان آنذاك منهمكًا بتطوير هويته الوطنية بثبات وعزيمة.

الإذاعة الفلسطينية بين النهوض والنكبة

وفي نهاية الثلاثينيات كان للمستمع الفلسطيني في إذاعة «هنا القدس» نصيب وافرٌ من الثقافة الوطنية والقومية وترسيخ التراث الفلسطيني، لكن بالمقابل، اشتد التنافس بين الإذاعات التي تشرف عليها بريطانيا وحلفاؤها، والتي تجسد الدعايات الحربية، «فقد صدرت مجلة «هنا القدس» احتوت على مادة زخمة من الصور والتقارير التي تصوّر الحرب التي شنتها بريطانيا ضد ألمانيا، واحتوت على رسومات كاريكاتورية مسيئة للعدو الألماني ومئات الصور للطائرات والأسطول البحري البريطاني وهي تتحرك للمواجهات مستعرضة بذلك جبروتها الذي تكلل لاحقًا ودفع ثمنه كل فلسطيني.[63] في نفس الوقت أصبحت «مدينة القدس عاصمة الثقافة العربية بسبب تزايد الحراك الثقافي فيها بفضل دار الإذاعة، وزيارة ممثلين وفنانين عرب مشهورين لها، وكتاب وشعراء وفرق زجلية من لبنان تحيي أمسيات زجلية، ومطربين من مصر، وأغاني أم كلثوم وفريد الأطرش وغيرهما، ومسابقات أدبية وشعرية... وقد تميّزت الإذاعة أيضًا بسياسة التحرير المهنية المتقنة، والتشديد على أهمية استعمال اللغة العربية بشكل صحيح ودقيق من قبل المذيعين، حيث كان هناك موظف مهمته مراقبة لغة المذيعين من خلال استماعه الدائم للإذاعة من بيته وإرسال التقارير فيما لو حصلت أخطاء».[64]

وفي بداية الأربعينيات، قررت إدارة الإذاعة التي كان يرأسها عزمي النشاشيبي أن تخصص طاقمًا إذاعيًا ميدانيًا ليقوم بجولات حول المدن والقرى الفلسطينية والاطلاع على الحالة الاجتماعية والسياسية، وغالبًا كانت تتضمن بعض المقابلات مع شخصيات كثيرة كالفلاحين والمربيين وأصحاب المتاجر والمسارح ونخبة من المثقفين على أن يتكلل هذا الجهد على شكل تقرير يبثّ فيما بعد في الإذاعة مع بعض المداخلات من مقدّم البرنامج.[65]

ومن أهم البرامج التي سعت إليها الإذاعة هي مرافقة الحجاج إلى موسم الحج للديار

الحجازية في العام 1940م، حيث كان مراسل الإذاعة ينقل أخبار القافلة والحجيج مدّة مكوثهم في الحجاز... وقد قام بتغطية هذا البرنامج الشاعر الكبير إبراهيم طوقان من على منبر الإذاعة، وقد استهل حديثه بنشيد قدّمه خصيصًا للحجاج بعنوان «أشواق الحجاز» وقام بتلحينه الموسيقار ابن عكا يحيى اللبابيدي مدير قسم في الإذاعة، وفيه:

بلاد الحجاز إليك هفا

فؤادي وهام بحب النبي

ويا حبذا زمزم والصفا

ويا طيب ذاك الثرى الطيب

بلاد الكرم شموس الهدى

عليك سلامي مدى سرمدا[66]

لكن النهوض الذي حققته الإذاعة الفلسطينية «هنا القدس» قد انتهى بنهاية مأساوية، «فما إن بدأت تباشير انتصار الحلفاء تلوح في الأفق، وجاءت أميركا بقضها وقضيضها تساعد بريطانيا وفرنسا كي تحرز النصر الأخير على النازية».[67] وبعد أن تأكدت بريطانيا أن العصابات الصهيونية، قد تمكّنت من السيطرة على الأرض والمجتمع الفلسطيني في نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين، فقد قررّت بريطانيا إنهاء الانتداب، وكذلك التخلي عن الإشراف على الإذاعة، وهي: «عادة موروثة عن بريطانيا قبيحة وممجوجة اشتهرت بها في سياستها الخارجية، حيث إنها تضحي بالغالي والثمين كي تنال مأربها وعندما تصل إلى ما تبتغي يبرد حماسها، وتقبض يدها، وتتضاءل رغبتها متشبثة بأوهى الأسباب والمعاذير».[68] فتخلت عن الإذاعة وعن كل أصدقائها العاملين فيها، تحقيقًا لرغبتها الحقيقية في دعم المشروع السياسي الذي جاءت إلى فلسطين من أجله.

وتراتبت الاعتداءات الصهيونية في كل مكان في فلسطين، «فبعد أن حرّضت على

المسؤولين العرب الفلسطينيين منذ بداية إنشاء الإذاعة، فقد تعرّضت إلى العدوان الصهيوني مرّات متعددة، وقصفت من المدفعية والدبابات كان أهمها الهجوم الذي شنته في أيار 1936م، عندما تعرّضت الإذاعة إلى هجوم صهيوني راح ضحيته «أكرم الحسيني» أول شهيد إعلامي فلسطيني، وتقرر نقل الإذاعة إلى مبنى جديد خارج الأسوار فيما عرف ببناية الطالبية.

وهكذا، بدأت معركة الإذاعة الأخيرة، فمن بعد ظهر يوم السبت الرابع والعشرين 1948م، أحاطت العصابات الصهيونية بدار الإذاعة لمدّة أربعة أيام متواصلة، وبقيت الإذاعة تبث برامجها بفضل عدد من المرابطين بداخلها يذيعون من أستديو المطبوعات... وإدراكًا من العاملين لحماية الإذاعة، فقد تمّ نقل معداتها من القدس إلى رام الله لضمان استمرار انطلاقة صوتها، فما أن احتلت العصابات الصهيونية الإذاعة في الصباح، ومع الساعة الثانية ظهرًا، أذيعت النشرة الإخبارية الفلسطينية، ودوّت كلمة «هنا القدس» إلى رام الله.

ويذكر المذيع توفيق محمود الشاهد في كتابه «رحلتي مع المايكروفون» أن عصمت النشاشيبي أحد الموظفين حمل على ظهره أجهزة الإذاعة من القدس... إلى مكان أعمدة الإرسال في رام الله، لينطلق صوت «إذاعة القدس»... لكنها بعد ذلك أصبحت تبث باسم «هنا القدس إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية».[69]

وهكذا، يسدل الستار عن إذاعة لم يدم عمرها طويلًا في القدس، لكنها كانت على الرغم من كل المعوقات والمؤامرات قد سجّلت قفزة نوعية نحو الحداثة الفلسطينية التي انتهت بمأساة النكبة، أما أجهزتها وأرشيفها ومحتوياتها فقد نهبها العدو الصهيوني، مثل بقية أشياء فلسطين.

هوامش الحلقة الأولى: الصحافة المقروءة الصحافة الفلسطينية العربية في القدس منذ نشأتها حتى العام 1948م.

1. عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1970م، ص 43.

2. بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (1917 – 1948م)، الطبعة الثالثة، بيروت 1986م، ص 3 – 4.

3. مصطفى الدبّاغ: بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت 1965م، الجزء الأول القسم الأول، انظر ص 15 – 21.

4. المصدر نفسه، ص 21.

5. د. محمد جمعة الوحش: مجلة النفائس الفلسطينية واتجاهاتها الأدبية، عمان (د.ن) 1989م، ص 9.

6. د. هاشم ياغي: القصة القصيرة في فلسطين والأردن 1850 – 1965، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1966م، ص 51.

7. د. إبراهيم عبده: تطوّر الصحافة المصرية (1798 – 1951م)، الطبعة الثالثة، القاهرة؟ ص 67 انظر أيضًا: محمد جمعة الوحش، المصدر السابق، ص 10.

8. د. هاشم ياغي: المصدر السابق، ص 53.

9. محمد صالحة وسميح أبو مغلي: تاريخ الصحافة العربية – نشأتها وتطورها، دار بيكار؟ ص 68. انظر أيضًا: أديب مروة: الصحافة العربية، نشأتها وتطورها، بيروت 1961م، ص 138.

10. د. خليل صابات: تاريخ الطباعة في الشرق العربي (الطبعة الثانية)، دار المعارف، مصر 1966م، ص 23.

11. المصدر نفسه: ص 5.

12. د. محمد جمعة الوحش: المصدر السابق، ص 11.

13. د. شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر (الطبعة الرابعة)، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص 30. انظر أيضًا: أديب مروّة: مصدر سابق، ص 141.

14. انظر: د. كامل السوافيري: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1973م، ص 95.

د. خليل صابات: المصدر السابق، ص 323. انظر أيضًا:

د. عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث (من أول النهضة.... حتى النكبة) منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001م، ص 77.

15. د. هاشم ياغي: المصدر السابق، ص 120.
16. يعقوب يهوشع: تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني (1908 – 1918م)، مطبعة المعارف، القدس 1974، ص 10.
17. د. عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب... مصدر سابق، ص 71.
18. الأب لويس شيخو (1859 – 1927م)، يترجم له «حنا الفاخوري» في كتابه: «تاريخ الأدب العربي» بقوله: «ولد الأب لويس شيخو في ماردين بالجزيرة، ثم انتقل إلى لبنان فدرس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير، وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية، ثم راح يتنقل في بلاد أوروبا وبلاد الشرق منقبًا في خزائنها عن آثار العرب، ثم انصرف إلى تدريس الآداب العربية في الجامعة اليسوعية ببيروت، وفي 1898م أنشأ مجلة «المشرق» واستمر على إدارتها خمسًا وعشرين سنة، وقد جعلها من أرقى المجلات الشرقية؛ بل جارى فيها مجلات الغرب لما ضمّنها من الأبحاث العلمية والأدبية والتاريخية القيّمة. وقد أدّى الأب لويس شيخو أجلّ الخِدَم فكان من أكبر بناة صرحها بما ألّف من الكتب المدرسية والأدبية، وبما نشر من المخطوطات العربية؛ لا بل كان من أكبر العاملين على نشر الأساليب العلمية في النقد والدراسة والموازنة والتحليل.
19. لويس شيخو اليسوعي: تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، بيروت 1926م، ص 165.
20. عبد الوهاب الكيالي: مصدر سبق الإشارة إليه، ص 45.
21. بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، مصدر سبق الإشارة إليه، ص 8 – 9.
22. فيليب حتي: لمحة تاريخية «فلسطين وتجديد حياتها، «لحنا صالح» المطبعة التجارية السورية الأميركية، نيويورك 1919، ص 20.
23. مصطفى الدباغ: مصدر سبق الإشارة إليه، ص 23.
24. فيليب حتى: المصدر السابق، ص 21.
25. د. إميل توما: جذور القضية، مركز الأبحاث (م.ت.ف)، بيروت 1973م، ص 66.
26. إميل بوافان: تاريخ الصحافة (ترجمة محمد إسماعيل محمد)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة؟ ص 26.
27. أديب مروة: مصدر سابق، ص 144.
28. د. عبد الرحمن ياغي: مصدر سابق، ص 80.
29. تاريخ تطور الصحافة السورية الأردنية: قسم الدراسات في الوكالة العربية للأنباء، ومديرية الدراسات والبحوث في وزارة الثقافة والإعلام الأردنية، دمشق وعمان 1976م، ص 11.

30. المصدر نفسه، الصفحات 11 – 13.

31. المصدر نفسه، ص 13.

32. د. ناصر الدين الأسد: محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، القاهرة 1960 – 1961م، ص 33.

33. تاريخ تطور الصحافة... مصدر سابق، ص 15.

34. د. محمد جمعة الوحش: مصدر سابق، ص 17.

35. وهذه القائمة مستمدة من المراجع التالية:

- أحمد خليل العقاد: تاريخ الصحافة العربية في فلسطين، دار العروبة، دمشق 1967م. ص 121 – 171.
- يوسف ق. خوري: (إعداد) الصحافة العربية في فلسطين (1876 – 1948م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت 1976م، ص 2 – 143.
- د. عايدة النجار: صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن (1900 – 1948م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2005م، ص 358 – 399.
- يعقوب يهوشع: تاريخ الصحافة العربية في فلسطين... مصدر سبق الإشارة إليه، ص 11 – 143.
- فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية (الجزء الرابع)، المطبعة الأميركانية، بيروت 1933م، ص 66.
- د. عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني... مصدر سبقت الإشارة إليه، ص 83 – 86.
- عبد القادر ياسين: الصحافة العربية في فلسطين (دراسة)، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت 1990م، ص 430 – 450.

36. د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 75.

37. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 88، مجلة «الزهرة» العدد1 – 2، ص 193.

38. عبد القادر ياسين: المصدر السابق، ص 435.

39. د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 69.

40. هذه القائمة مستمدة من مراجع الهامش السابق، رقم (35).

41. عبد القادر ياسين: المصدر السابق، ص 435، 438.

42. يعقوب يهوشع: المصدر السابق، ص 14.

43. المصدر نفسه: ص 150.

44. المصدر نفسه، ص 85.

45. يوسف خوري: الصحافة العربية... مصدر سابق، الصفحات 57، 68، 74 – 78، 85، 86، 105، 106، انظر أيضًا:

- عبد القادر ياسين: المصدر السابق، ص 440 – 443.
- د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 404 – 405.

46. عبد القادر ياسين: المصدر السابق، ص 446.

47. بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية... مصدر سبقت الإشارة إليه، ص 271 فما فوق. * د.عايدة النجار: المصدر السابق، ملحق (5) ص 400 – 401.

48. د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 199.

49. المصدر نفسه.

50. حكومة فلسطين: تقرير اللجنة الملكية بفلسطين، القدس 1937م، ص 117.

انظر أيضًا: عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة 1951م، ص 156.

51. عبد القادر ياسين: تجربة في الصحافة السرية، مجلة «شؤون فلسطينية» العدد 23، تموز/ يوليو 1973م.

انظر أيضًا: عايدة النجار: المصدر السابق، ملحق (6) الصحف البديلة في سنيّ الثورة الكبرى 1936 – 1939م، ص 402 – 403.

52. تقرير اللجنة الملكية الفلسطينية: مصدر سابق، ص 174 – 176.

53. عبد القادر ياسين: المصدر السابق.

54. تقرير اللجنة الملكية... ص 146.

55. المصدر نفسه.

56. المصدر نفسه.

57. المصدر نفسه، ص 256 – 257.

58. إميل توما: جذور القضية الفلسطينية، م.ت.ف، دراسات فلسطينية (92)، بيروت 1973م، ص 291 – 291. (بتصرف).

59. المصدر نفسه.

60. إبراهيم أبو لغد: تهويد فلسطين (إعداد وتحرير وترجمة أسعد رزوق)، م.ت.ف، مركز الأبحاث، بيروت 1972م، ص 168.

61. هناك فارق مهم بين ما أورده كل من: أحمد خليل العقاد، وعبد القادر ياسين، ويوسف ق.

خوري، ويعقوب يهوشع، والدكتورة عايدة النجار.

62. محمد سليمان: تاريخ الصحافة في غزة (1876 – 1994م)، مطبعة بيت المقدس، رام الله، 2002، ص 13 – 14.

63. يعقوب يهوشع: تاريخ الصحافة العربية في فلسطين (1930 – 1948م) الجزء الثالث، معهد هاري ترومان بالجامعة العبرية (بالقدس)، دار المشرق للطباعة والنشر، شفا عمرو 1983م، ص 17، 98 * انظر أيضًا: عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص 450.

64. المصدر الأول (يعقوب يهوشع)، ص 17.

65. المصدر نفسه: ص 128.

66. عبد القادر ياسين: المصدر السابق، ص 468.

67. المصدر نفسه.

68. د. عايدة النجار: المرجع السابق، ص 44 – 46.

69. بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية... مصدر سابق، ص 80 – 94.

70. المصدر نفسه.

71. أحمد خليل العقاد: تاريخ الصحافة العربية في فلسطين... مصدر سبقت الإشارة إليه، ص 83.

72. المصدر نفسه، ص 96 – 119.

73. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، ط1– 1925– ص 71 – 73. ط2– منشورات وزارة الثقافة رام الله 2000م، ص 110 – 114.

انظر أيضًا: د. محمد جمعة الوحش: مجلة النفائس الفلسطينية واتجاهاتها الأدبية، عمان 1989م، ص 20 – 21. جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني (رائد التجديد الفكري والأدبي في فلسطين) منشورات الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010، ص 75 – 79.

هوامش الحلقة الثانية: الصحافة المسموعة «هنا القدس» إذاعة فلسطين الأولى (1936 - 1948م)

1. حديث الإذاعة: القسم العربي في دار الإذاعة الفلسطينية (الجزء الأول) المقدمة: بقلم عجاج نويهض، المطبعة التجارية، القدس 1942م، ص ج د.

2. د. عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، من أول النكبة... حتى النكبة (الطبعة الثانية)، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001 م، ص 101.

3. د. عايدة النجّار: صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن 1900 – 1948، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2005، ص 283.

4. نصري الجوزي «المقدسي»: تاريخ الإذاعة الفلسطينية «هنا القدس» 1936 – 1948م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2010، ص 6.

5. د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 284.

6. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين– الأمانة العامة، بيروت 1982م، ص 279. انظر أيضًا خليل السكاكيني: يوميات، الكتاب السادس، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2006، ص 196 – 197.

7. المصدران السابقان، ص 197.

8. المصدر نفسه، ص 230.

9. المصدر نفسه، ص 231.

10. المصدر نفسه، ص 232.

11. د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 284. انظر أيضًا: أ.د تيسير جبارة: «هنا القدس» إذاعة فلسطين الأولى (دراسة).

12. د. عايدة النجار: المصدر السابق.

13. د. قسطندي شوملي: دراسة لحياة النقد، ص 65.

14. د. عايدة النجار: المصدر السابق.

15. المصدران السابقان.

16. جريدة «الدفاع» العدد 566، تاريخ 31/ 3/ 1936م.

17. يوسف جبارة: تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان 1998م، ص 92.

18. جريدة «الدفاع» العدد 567 تاريخ 1/ 4/ 1936م.

19. جريدة «الدفاع» العدد 568 تاريخ 2/ 4/ 1936م.

20. المصدر نفسه.

21. نصري الجوزي المقدسي: تاريخ الإذاعة... المصدر السابق، ص 9.

22. جريدة «الدفاع» العدد 579، تاريخ 13/ 4/ 1936م.

23. خليل السكاكيني: اليوميات الجزء السادس، ص 230.

24. نصري الجوزي (المقدسي): تاريخ الإذاعة... المصدر السابق، ص 11.
25. عمر فروخ: شاعران معاصران، إصدار المكتبة العلمية، بيروت 1954م، ص 65.
26. هذه النبذة عن حياة إبراهيم طوقان؛ مستمدّة من كتاب «أخي إبراهيم» للشاعرة فدوى طوقان إصدار دار القدس، بيروت 1975م، انظر أيضًا: جهاد أحمد صالح: موسوعة النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين (إبراهيم طوقان) الجزء الرابع (1905 – 1908م)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة الإمارات العربية المتحدة 2017م، ص 85 – 88.
27. د. عايدة النجار: المصدر السابق، ص 285.
28. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 101.
29. نصري الجوزي (المقدسي): تاريخ الإذاعة... المصدر السابق، ص 16.
30. المصدر نفسه، ص 17.
31. زكي المحاسني: شاعر فلسطين – إبراهيم طوقان، القاهرة 1956م، ص 27 – 50.
32. المصدر نفسه.
33. المصدر نفسه.
34. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 101، انظر أيضًا: زكي المحاسني: المصدر الأسبق، ص 40. أما نصري الجوزي فيورد التحقيق، معتبرًا أنه أذيع في 30 من أيلول في العام 1937م.
35. نصري الجوزي، المصدر السابق، ص 18.
36. فدوى طوقان: أخي إبراهيم، المصدر السابق، ص 7.
37. عمر فروخ: شاعران معاصران، المصدر السابق، ص 18.
38. نصري الجوزي: المصدر السابق، ص 20 – 21.
39. جهاد أحمد صالح: روّاد النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين، الجزء الثالث (1894 – 1904م)، عجاج نويهض (1897 – 1982م) ستون عامًا مع القافلة الفلسطينية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2017م، ص 271 – 275. انظر أيضًا: يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين (ط2) وكالة التوزيع الأردنية، عمان 1987م، ص 641 – 643.
40. المصدران السابقان.
41. نصري الجوزي: المصدر السابق، ص 21.

42. جهاد أحمد صالح: روّاد النهضة المصدر الســابق ص 285. يعقوب العودات: المصدر السابق، ص 643.

43. عجاج نويهض: حديث الإذاعة... مصدر سابق، ص 4 – 5.

44. يعقوب العودات: المصدر الســابق، ص 643 – 644. انظر: نصري الجوزي: مصدر سابق ص 23. جهاد أحمد صالح: المصدر السابق، ص 286 – 287.

45. المصادر السابقة.

46. جهاد أحمد صالح: المصدر السابق 288 – 289.

47. عزمي النشاشــيبي: تقول الجمعية الفلســطينية الأكاديمية للشــؤون الدولية، إنه: حصل على جائزة الاســتقلال الأردني في العام 1945م، وجائزة إم بي إي (عضو الإمبراطورية البريطانية) مــن الحكومة البريطانية في العــام 1946م. عينّه الملك عبد الله الأول حاكــمًا لرام الله في 15 أيار 1948م. رئيس الوفد الأردني للجنة الهدنة المختلطة في العام 1949م. اســتقال في العام 1955م، نتيجة انضمام الأردن إلى حلف بغداد، توفي في العام 1995م.

48. نصري الجوزي (المقدسي): تاريخ الإذاعة... المصدر السابق، ص 25 – 26.

49. عصام حمّاد: ولد في مدينة جرش الأردنية من أب فلسطيني وأم شركسية، تلقى علومه الابتدائية في «كلية النجاح الوطنيــة» في نابلس، والثانوية في الكلية الرشــيدية في القدس، اجتاز امتحان التعليم العالي الفلســطيني في العــام 1942م، التحق بدار الإذاعة الفلســطينية في كانون الأول 1944م. وأصبح مذيعًا ومنتجًا ومســاعدًا للأديب محمد أديب العامري، ثم سعيد العيسى، في الإشراف على الصفحة الأدبية، ثم تدرج حتى أصبح المشرف العام في هذا القسم.

50. ما ذكره عصام حمّاد في رســالته لنصري الجوزي عن الفترة التي تولى عزمي النشاشــيبي إدارة القسم العربي في الإذاعة الفلسطينية.

51. نصري الجوزي (المقدسي): تاريخ الإذاعة... المصدر السابق، ص 26 – 27.

52. المصدر نفسه.

53. حديث الإذاعة: مصدر سابق، ص 192 إلى 243

54. المصدر نفسه: ص 66.

55. المصدر نفسه: انظر الصفحات 66 – 71.

56. واصف جوهرية: القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (الكتاب الثاني من مذكرات الموسيقى واصف جوهرية 1918 – 1948م، تحرير وتقديم: سليم تماري، وعصام نصار، وزارة الثقافة الجزائرية 2009م، ص 290 – 291.

57. المصدر نفسه.

58. المصدر نفسه: انظر أيضًا: نصري الجوزي، المصدر السابق، ص 136 – 137. انظر أيضًا: أوس يعقوب: صفحات مجهولة من تاريخ إذاعة فلسطين الأولى «هنا القدس».

59. المصادر السابقة.

60. نصري الجوزي (المقدسي): تاريخ الإذاعة... المصدر السابق، ص 141.

61. شفيق الحوت: بين الوطن والمنفى (من يافا بدأ المشوار)، رياض الريّس للنشر والكتب بيروت 2007م، ص 40.

62. زياد عساف: سهام رفقي... مطربة العباية... غنّت على مسارح يافا قبل النكبة، مقالة، جريدة «الرأي» الأردنية، تاريخ 5/ 2/ 2013م.

63. أحمد مروات: إذاعة هنا القدس الفلسطينية، مقالة بتاريخ 19 حزيران 2007م.

64. ربيع عيد: كواليس أول دار إذاعة فلسطينية في زمن الانتداب، جريدة عرب 48، تاريخ 14/ 2/ 2012م.

65. أحمد مروات: مصدر سابق.

66. المصدر نفسه.

67. فهمي شمّا: تأسيس محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية في يافا بفلسطين، في رسالة بعث بها إلى صديقه المسرحي «نصري الجوزي»، ملحقًا في كتابه «تاريخ الإذاعة الفلسطينية، «هنا القدس» المصدر السابق، الملحق رقم (1) ص 164 – 169.

68. المصدر نفسه.

69. المعلومات هنا، مستمدة من مقالات: أحمد مروات، ربيع عيد، علي سعادة، أوس يعقوب، محمود توفيق الشاهد.

المصادر

1. أحمد مروات: إذاعة «هنا القدس» الفلسطينية، (مقال)، بتاريخ 19 حزيران 2007م.

2. أوس يعقوب: صفحات مجهولة من تاريخ إذاعة فلسطين الأولى «هنا القدس»، 2017م.

3. أ. د. تيسير جبارة: «هنا القدس» إذاعة فلسطين الأولى (دراسة).

4. الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – عزمي النشاشيبي (1903 – 1995م)، القدس.

5. جهاد أحمد صالح: موسوعة «روّاد النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين– الجزء الرابع– إبراهيم طوقان 1905 – 1908، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة 2017م.

6. جهاد أحمد صالح: موسوعة «روّاد النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين– الجزء الثالث– (1894 – 1904). عجاج نويهض (1897 – 1982م)، دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة، الإمارات العربية المتحدة 2017م.

7. حديث الإذاعة: القسم العربي في دار الإذاعة الفلسطينية (الجزء الأول) المقدمة: بقلم عجاج نويهض، القدس 1942م.

8. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين– الأمانة العامة، بيروت 1982م.

9. خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني (الجزء السادس)، مركز خليل السكاكيني ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2006م.

10. ربيع عيد: كواليس أول دار إذاعة فلسطينية في زمن الاحتلال، (مقالة) عرب 48، تاريخ 14/ 2/ 2012م.

11. زياد عساف: سهام رفقي... مطربة العباية... غنّت على مسارح يافا قبل النكبة، (مقالة)، جريدة «الرأي» الأردنية، تاريخ 5/ 2/ 2013م.

12. شفيق الحوت: بين الوطن والمنفى– من يافا بدأ المشوار، رياض الريس للنشر والكتب، بيروت 2007م.

13. د. عايدة النجّار: صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن 1900 – 1948م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2005م.

14. عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث– من أول النهضة.... حتى النكبة (الطبعة الثانية)، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001م.

15. عجاج نويهض: رجال من فلسطين (ما بين بداية القرن حتى العام 1948م)، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت 1981م.

16. عماد الأصفر: التلفزيون يستذكر نجوم العمل الإذاعي، نشرة وفا، رام الله 3/ 7/ 2010م.

17. عمر فروخ: شاعران معاصران، إصدار المكتبة العلمية، بيروت 1954م.

18. فدوى عبد الفتاح طوقان: أخي إبراهيم، شركة الطباعة اليافية، يافا 1946م.

19. د. قسطندي شوملي: دراسة لحياة النقد.

20. محمود توفيق الشاهد: رحلتي مع المايكروفون، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان 1999م.

21. نصري الجوزي: تاريخ المسرح الفلسطيني 1918 – 1948م، شرق برس، قبرص، ليماسول، نيسان (إبريل) 1990م.

22. نصري الجوزي (المقدسي): تاريخ الإذاعة الفلسطينية «هنا القدس» 1936 – 1948م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2010م.

23. واصف جوهرية: القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية (الكتاب الثاني من مذكرات الموسيقى واصف جوهرية 1918 – 1948م) تحرير وتقديم: سليم تماري، وعصام نصار، وزارة الثقافة الجزائرية الجزائر 2009م.

24. يعقوب العوادات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين (ط 2) وكالة التوزيع الأردنية، عمان 1987م.

25. يسرى جوهرية عرنيطة: الفنون الشعبية في فلسطين (دراسات في التراث الشعبي الفلسطيني)، دار الشرق عمان، الطبعة الرابعة، وزارة الثقافة الفلسطينية رام الله 2013م.